

# التَّحْرِيفُ بَابُ خَلْدُونَ

وَرِحَلَتُهُ غَرْبًا وَشَرْقًا



تأليف  
عبد الرحمن بن خالدون

منشورات  
دار الكتاب اللبناني  
للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة

١٩٧٩

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غرباً وشرقاً<sup>(١)</sup>

وأصل هذا البيت من إشبيلية؛ انتقل سلفنا - عند الجلاء -  
وغلب ملك الجلائقة ابن أدفونش عليها - إلى تونس في أواسط  
المائة السابعة .

### نسبه :

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد  
ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون<sup>(٢)</sup> . لا أذكر من نسي إلى  
خلدون غير هؤلاء العشرة ، ويغلب على الظن أنهم أكثر ، وأنه سقط  
مثلهم عدداً ؛ لأنّ خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس ، فإن كان  
أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة ، فيكونون زهاء العشرين ؛

(١) ختم ابن خلدون الجزء الأخير من تاريخه بالتعريف بنفسه وأضاف بخطه في بعض النسخ قوله :  
« ورحلته غرباً وشرقاً » .

(٢) بفتح الحاء كما ضبطه بخطه بالقلم مرارا ، وكما نص عليه السخاوي في الضوء اللامع ١٤٥/٤ .

ثلاثة لكل مائة ، كما تقدم في أول الكتاب الأول<sup>(١)</sup> .

وتَسَبُّنا حَضْرَمَوْت ، من عَرَب اليَمَن ، إلى وائِل بن حُجْر ،  
من أَقْيال العَرَب ، معروف وله صُحْبَة . قال أَبُو مُحَمَّد بن حَزْم<sup>(٢)</sup> في  
كتاب الجَهْرَة : وهو وائِل بن حُجْر بن سَعِيد بن مَسْرُوق بن وائِل  
ابن النُّعْمَان بن رَبِيعَة بن الحَارِث بن عَوْف بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِيٍّ  
ابن مَالِك بن شُرْحَبِيل بن الحَارِث بن مَالِك بن مُرَّة بن حَمِير بن  
زَيْد بن الحَضْرَمِيِّ بن عمرو بن عبد الله بن هَانِي ، بن عَوْف بن جُرْشَم  
ابن عبد شمس بن زَيْد بن لَأْي بن شَبِيت<sup>(٣)</sup> بن قُدَامَة بن أَعْجَب بن  
مَالِك بن لَأْي بن قحطَان . وابْنُه عَلَقْمَة بن وائِل وعبد الجُبَّار بن  
وائِل .

وذكره أَبُو عُمر بن عبد البرِّ في حرف الواو من « الاستيعاب » ،  
وأنَّه وفد<sup>(٤)</sup> على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَسَطَ لَهُ رِداءه ، وأَجْلَسَه  
عليه ، وقال : « اللهم بَارِكْ في وائِل بن حُجْر وولده وولد ولده إلى يوم  
القيامة » .

(١) انظر المقدمة ص ٣٠٤ طبع دار الكتاب اللبناني . حيث قدر أعمار الدول .  
(٢) هو أَبُو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سَعِيد بن حَزْم الظَاهِرِي القرطبي ( ٣٨٤ - ٤٥٦ ) انظر  
الإحاطة وتاريخ الأدب العربي لبروكلين ١/٤٠٠ ، والملحق ١/٦٩٤ .  
(٣) قيدها بخطه بفتح الشين وسكون الباء الموحدة بعدها مثناة فوقية .  
(٤) انظر قصة وفادته على النبي (ص) « عام الوفود » في القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ  
ابن خلدون ص ٨٣٥ .

وبعث معه جارية بن أبي سفيان إلى قومه يعلمهم القرآن  
والاسلام؛ فكانت له بذلك صحابة مع معاوية . ووفد عليه لأول  
خلافته وأجازه؛ فردَّ عليه جائزته ولم يقبلها .

ولما كانت واقعة حُجْر بن عدي الكندي بالكوفة، اجتمع  
رؤوس أهل اليمن، وفيهم وائل هذا، فكانوا مع زياد<sup>(١)</sup> بن أبي سفيان  
عليه، حتى أوثقوه وجاؤا به إلى معاوية، فقتله كما هو معروف .

قال ابن حزم : ويؤكد كَر بنو خلدون الاشبيليون من ولده،  
وجدُّهم الداخل من الشرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن هاني .  
ابن الخطاب بن كُريِب<sup>(٢)</sup> بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن  
حُجْر . قال : وكان من عقبه كُريِب بن عثمان بن خلدون وأخوه  
خالد، وكانا من أعظم ثوار الأندلس .

قال ابن حزم : وأخوه محمد كان من عقبه أبو العاصي عمرو بن  
محمد بن خالد بن محمد بن خلدون . وبنو أبي العاصي : محمد، وأحمد،  
وعبد الله . قال : — وأخوهم عثمان، وله، عقب . ومنهم الحكيم  
المشهور بالأندلس من تلاميذ مسلمة المجرطي<sup>(٣)</sup>؛ وهو أبو مسلم

(١) هو زياد بن أبي سفيان، ويقال ابن أبيه؛ أخو معاوية بن أبي سفيان .

(٢) قيده بخطه بضم الكاف وفتح الراء .

(٣) هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجرطي . فلكي راصد، له تأليف في الفلك والفلسفة والسحر

والكيمياء . انظر عيون الأنباء ٣٩/٢ .

عمر بن محمد<sup>(١)</sup> بن بَقِيَّ بن عبد الله بن بكر بن خالد بن عثمان بن خالد بن عثمان بن خلدون الدَّاهِل . وابن عمه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله . قال : ولم يبق من ولد كُرَيْبِ الرَّيْسِ المذكور إلا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن كُرَيْب - انتهى كلام ابن حزم .

### سلفه بالاندلس

ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا إلى الأندلس ، نزل بِقَرْمُونَةَ في رَهْط من قومه حَضْرَمَوْت ، ونَشَأَ بِتُ بَنِيهِ بِهَا ، ثم انتقلوا إلى إِشْبِيلِيَّة . وكانوا في جُند اليمَن ، وكان لَكُرَيْبِ من عقبه وأخيه خالد ، الثورةُ المعروفةُ بِإشبيلية أيام الأمير عبد الله المرواني ؛ ثار على ابن أبي عَبْدَةَ ، وملكها من يده أعواما ، ثم ثار عليه إبراهيم بن حَجَّاج ، بِإملاء الأمير عبد الله وقتله ، وذلك في أواخر المائة الثالثة .

وتلخيص الخبر عن توريته<sup>(٢)</sup> ، على ما نقله ابن سَعِيد<sup>(٣)</sup> عن الحِجَارِي<sup>(٤)</sup>

(١) في عيون الأنباء ( ٤١/٢ ) : « عمر بن أحمد بن خلدون » . وابن خلدون هذا هو أحد أشراف إشبيلية ، وكان فيلسوفا مهندساً طيباً . توفي سنة ٤٤٩ هـ .

(٢) تفصيل خبر هذه الثورة في تاريخ ابن خلدون ٢٩٥/٤ ، ٢٩٦ .

(٣) علي بن موسى بن سعيد العنسي القرناطي ( ٦١٠ - ٦٧٣ ) صاحب كتابي « المغرب » و « المشرق » وغيرها . يعتمد عليه ابن خلدون كثيراً في النسب والتاريخ .

(٤) أبو محمد عبد الله إبراهيم الحِجَارِي ( نسبة ) إلى وادي الحجارة ( الصنهاجي ) من أهل القرن السابع ألف كتاب « المسهب في غرائب المغرب » ابتداءً فيه من فتح الأندلس وانتهى إلى سنة ٦٣٠ ، انظر نفع الطيب ١ - ٤٨٣ ، ٢ - ٤٠٦ .

وابن حَيَّان<sup>(١)</sup> وغيرهما، وينقلونه عن ابن الأشعث مؤرخ إشبيلية: أن الأندلس لما اضطربت بالفتن أيام الأمير عبد الله تناول رؤساء إشبيلية إلى الثورة والاستبداد، وكان رؤساؤها المتطاولون إلى ذلك في ثلاثة بيوت: بيت بني أبي عبدة، ورئيسهم يومئذ أمية بن عبد الغافر بن أبي عبدة، وكان عبد الرحمن الداخل ولي أبا عبدة إشبيلية وأعمالها، وكان حافده أمية من أعلام الدولة بقرطبة، ويولونه المالك الضخمة. وبيت بني خلدون هؤلاء، ورئيسهم كريب المذكور، ويردفه أخوه خالد.

قال ابن حَيَّان: وبيت بني خلدون إلى الآن في إشبيلية نهاية في النباهة، ولم تزل أعلامه بين رئاسة سلطانية ورئاسة علمية. ثم بيت بني حجاج، ورئيسهم يومئذ عبد الله. قال ابن حَيَّان: هم - يعني بني حجاج - من لخم، ويبتهم إلى الآن في إشبيلية ثابت الأصل، نابت الفرع موسوم بالرئاسة السلطانية والعلمية. فلما عظمت الفتنة بالاندلس أعوام الثمانين والمائتين، وكان الأمير عبد الله قد ولي على إشبيلية أمية بن عبد الغافر، وبعث معه ابنه محمداً، وجعله في كفالته، فاجتمع هؤلاء الثفر، وثاروا بمحمد بن الأمير عبد الله وبأمية

(١) أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (٣٧٧ - ٤٦٩) مؤرخ الأندلس بلا جدال. له كتاب «المتين» أو «المبين» في التاريخ، و«المقتبس» في تاريخ الأندلس، وكتاب «معرفة الصحابة». (وفيات الاعيان لابن خلكان ١ - ٢١٠).

صاحبهم ، وهو يمالئهم على ذلك ، ويكيد - بابن الأمير عبد الله . وحاصروها في القصر ، حتى طلب منهم اللّحاق بأبيه فأخرجوه ، واستبدت أمية بإشبيلية ، ودسّ على عبد الله بن حجاج من قتله ، وأقام أخاه إبراهيم مكانه . وضبط إشبيلية ، واسترهن أولاد بني خلدون وبني حجاج ، ثم ثاروا به ، وهم بقتل أبنائهم ؛ فراجعوا طاعته . وحلفوا له ؛ فأطلق أبناءهم فانتقضوا ثانية . وحاربوه فاستمات وقتل حرّمه ، وعقر خيوله ، وأحرق موجوده . وقتلهم حتى قتلوه مقيلاً غير مدبر ، وعانت العامة في رأسه . وكتبوا إلى الأمير عبد الله بأنه خلع فقتلوه ، فقبل منهم مداراة ، وبعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته ، فاستبدوا عليه ، وفتكوا بابنه ، وتولى كبير ذلك كريب بن خلدون ، واستقل بإمارتها .

وكان إبراهيم بن حجاج بعد ما قُتل أخوه عبد الله - على ما ذكره ابن سعيد عن الحنجاري - سمّت نفسه إلى التّفرد ، فظاهر ابن حفصون<sup>(١)</sup> أعظم ثوار الأندلس يومئذ ، وكان بمالقة وأعمالها إلى رندة ، فكان له منه ردّة . ثم انصرف إلى مداراة كريب بن خلدون وملا بسته ، فردّفه في أمره ، وشركه في سلطانه ، وكان في

(١) هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفوش القس . أول ثائر بالأندلس ، وهو الذي افتتح الخلاف بها ، وفارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن سنة ٢٧٠ . وتوفي سنة ٣٠٦ وانظر ثورته في تاريخ ابن خلدون ٤ - ٢٨٦ وما بعدها .

كُرَيْب تحامل على الرعية وتعضب ، فكان يتجهّم لهم ، ويغلظ عليهم ، وابن حجاج يسلّك بهم الرفق والتلطف في الشفاعة لهم عنده ، فانحرفوا عن كُرَيْب الى ابراهيم . ثم دس الى الأمير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية اشبيلية ، لتسكن اليه العامة ؛ فكتب اليه العهد بذلك . وأطلع عليه عرفاء البلد ، مع ما أشربوا من حبه ، والنفرة عن كُرَيْب ، ثم أجمع الثورة ، وهاجت العامة بكُرَيْب فقتلوه ؛ وبعث برأسه الى الامير عبد الله ، واستقرّ بإمارة اشبيلية .

قال ابن حيّان : وحصّن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الأندلس ، وجعلها مرتبطاً لخيوله ، وكان ينتقل بينها وبين اشبيلية . واتخذ الجند ورتبهم طبقات ، وكان يصانع الأمير عبد الله بالأموال والهدايا ، ويبعث اليه المدد في الصوائف . وكان مقصوداً ممدّحاً ، قصده أهل البيوتات فوصلهم ، ومدّحه الشعراء فأجازهم ، وانتجعه أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد<sup>(٢)</sup> ، وقصده من بين سائر الثوار ، فعرّف حقه ، وأعظم جائزته .

ولم يزل بيت بني خلدون بإشبيلية — كما ذكره ابن حيّان وابن

(١) الصوائف جمع صائفة وهي غزوات المسلمين الى بلاد الروم . سميت صوائف لأنهم كانوا يفتنون صيفاً تفادياً من شدة البرد والثلج ( تاج العروس ) .  
(٢) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي ( ٢٤٦ - ٣٢٨ ) صاحب كتاب العقد الفريد ترجمته في الوفيات ٣٩/١ البيهقي ٤١٢/١ معجم ياقوت ٦٧/٢ .





وتكالب الطاغية عليها، وردد الغزو إلى الفرنتيرة<sup>(١)</sup>، بسيط قرطبة وإشبيلية إلى جيان، وثار ابن الأحمر بغرب الأندلس من حصن أرجونة، يرجو التماسك لما بقي من رَمَق الأندلس. وفاوض أهل الشورى يومئذ بإشبيلية. وهم بنو الباجي، وبنو الجدة، وبنو الوزير، وبنو سيد الناس، وبنو خلدون. وداخلهم في الثورة على ابن هود، وأن يتجافوا للطاغية عن الفرنتيرة، ويتمسكوا بالجلال الساحلية وأمصارها المتوعيرة، من مألقة إلى غرناطة إلى المريّة؛ فلم يوافقوه على بلدهم.

وكان مقدمهم أبو مروان الباجي، فتابذهم ابن الأحمر وخلع طاعة الباجي، وبأيع مرة لابن هود، ومرة لصاحب مراكش من بني عبد المؤمن، ومرة للأمير أبي زكريا، صاحب إفريقية. ونزل غرناطة، واتخذها داراً للملك، وبقيت الفرنتيرة وأمصارها ضاحية من ظل الملك؛ فخشي بنو خلدون سوء العاقبة مع الطاغية، وارتحلوا من إشبيلية إلى العدو، ونزلوا سبتة وأجلب الطاغية على تلك الثغور؛ فملك قرطبة وإشبيلية، وقرمونة وجيان وما إليها، في مدة عشرين سنة. ولما نزل بنو خلدون سبتة أصهر اليهم العزفي<sup>(٢)</sup> بأبنائه

(١) الفرنتيرة هي: بسيطة قرطبة وإشبيلية وطليطلة وجيان، آخذة من جوف (شال) الجزيرة من المغرب إلى المشرق.

(٢) انظر أخبار بني العزفي في تاريخ ابن خلدون ٧٢٧/٦، ٧٧٧.

وبناته ، فاختلط بهم ، وكان له معهم صهرٌ مذكور . وكان جدُّنا الحسن بن محمد ، وهو سبط ابن المحتسب ، قد أجاز فيمن أجاز معهم ؛ فذكر سوابق سلفه عند الأمير أبي زكريا ، فقصدَه وقدم عليه فأكرم قدومه . وارتحل الى المشرق ؛ ففضى فرضه . ثم رجع ولحق بالأمير أبي زكريا على بُونة ؛ فأكرمه ، واستقرَّ في ظلِّ دولته ، ومرعى نعمته ، وفرض له الأرزاق ، وأقطع الاقطاع . وهلك هنالك ؛ فدفن ببونة . وخلف ابنه محمدًا أبابكر ؛ فنشأ في جوِّ تلك النعمة ومرعاها . وهلك الأمير أبو زكريا ببونة سنة سبع وأربعين ، ووليَّ ابنه المستنصر محمدٌ ؛ فأجرى جدنا أبابكر على ما كان لأبيه . ثم ضرب الدهر ضربانه ، وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين ، ووليَّ ابنه يحيى ، وجاء أخوه الأمير أبو إسحق من الأندلس ، بعد أن كان فرًّا أمام أخيه المستنصر . فخلع يحيى ، واستقلَّ هو بملك إفريقية ، ودفع جدنا أبابكر محمدًا الى عمل الأشغال في الدولة ، على سنن عظماء الموحدين فيها قبله ؛ من الانفراد بولاية العمال ، وعزلهم وحسبانهم ، على الجباية ، فاضطلع بتلك الرتبة . ثم عقد السلطان أبو إسحق لابنه محمد ، وهو جدنا الأقرب ، على حجابة ولي عهده ابنه أبي فارس أيام



سابقته ، وأقطعه ، ونظمه في جملة القواد ومراتب أهل الحروب ، واستكفى به في الكثير من أهل ملكه ، ورشحه لحجابه من بعد الفازازي . وهلك ، فكان من بعده حافد أخيه المستنصر أبو عصيدة ، واصطفى لحجابه محمد بن إبراهيم الدبّاغ كاتب الفازازي ، وجعل محمد ابن خلدون رديفاً في حجابه . فكان كذلك الى أن هلك السلطان ، وجاءت دولة الأمير خالد ، فأبقاه على حاله من التجلّة والكرامة ، ولم يستعمله ولا عقده له ، إلى أن كانت دولة أبي يحيى بن اللحياني ، فاصطنعه ، واستكفى به عند ما نبضت عروق التغلب للعرب ؛ ودفعه الى حماية الجزيرة من دلاج<sup>(١)</sup> ، أحد بطون سليم المواطنين بنواحيها ؛ فكانت له في ذلك آثار مذكورة . ولما انقرضت دولة ابن اللحياني خرج الى المشرق ، وقضى فرضه سنة ثمان عشرة ، وأظهر التوبة والاقلاع ، وعاود الحج متفلاً سنة ثلاث وعشرين ، ولزم كسر بيته . وأبقى السلطان أبو يحيى عليه نعمته في كثير مما كان يده من الاقطاع والجراية ، ودعاه الى حجابه مراراً ، فامتنع .

أخبرني محمد بن منصور بن مزن<sup>(٢)</sup> ، قال : لما هلك الحاجب محمد ابن عبد العزيز الكردي المعروف بالمزوار ، سنة سبع وعشرين

(١) انظر بعض أخبار دلاج في تاريخ ابن خلدون .

(٢) كان ابن مزن هذا صديقاً لابن خلدون . انظر العبر ٦/ ٨٨٨ - ٩٣٩ .

وسبعمائة ، استدعى السلطان جدك محمد بن خالدون ، وأرادَه على الحُجّابة ، وأن يفورض إليه في أمره ، فأبى واستعفى ، فأعفاه ، وَوَآمَرهُ فيمن يوليه حجابته ، فأشار عليه بصاحب الشَّعر : بِجاية ، محمد بن أبي الحسين بن سَيِّدِ الناس ، لاستحقاقه ذلك بِكفايته واضطِلاعه ، ولقدِمْ صِحابة بين سلفها بتونس ، وبأشبيلية من قبل . وقال له : هو أَقدَر على ذلك بِمَا هو عليه من الحاشية والذَّوِين<sup>(١)</sup> ، فعمل السلطان على إشارته ، واستدعى ابن سَيِّدِ الناس ، وولاه حجابته . وكان السلطان أبو يحيى إذا خرج من تُونس يستعمل جدنا محمداً عليها ، وثوقاً بِنَظَرِهِ واستِنامةً اليه ، الى أن هلك سنة سبع وثلاثين ، ونزع ابنه ، وهو والذي محمد أبو بكر ، عن طريقة السيف والخدمة ، الى طريقة العلم والرِّباط ، لما نشأ عليها في حجر أبي عبد الله الزُّبَيْدِي<sup>(٢)</sup> الشَّهير بالفقيه ، كان كبيرَ تونس لعده ، في العلم والفُتيا ، وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه حُسين وعمه حَسَن ، الوليين الشَّهيرين . وكان جدنا رحمه الله قد لزمه من يوم نزوعه عن طريقه ، وألزمه ابنه ، وهو والذي رحمه الله ، فقراً وتَفَقُّهً ، وكان مقدماً في صناعة العربية ، وله بصر بالشَّعر وفنونه . عهدي بأهل الأدب

(١) الذَّوِين : الأذنون الأخصون . ( لسان العرب ) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزُّبَيْدِي ( بضم الزاي ، نسبة الى

قرية بساحل المهدية ) توفي عام ٧٤٠ هـ ( انظر رحلة ابن بطوطة ص ٦ ) .





تعلمت صناعة العربية على والدي ، وعلى أستاذي بُونس : منهم الشيخ أبو عبد الله بن العربي الحصري ، وكان إماماً في النحو وله شرحٌ مُستوفى على كتاب التسهيل . ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرّزالي . ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار ؛ كان مُمتعاً في صناعة النحو ، وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي ، وهو حي لهذا العهد بُونس .

ومنهم : امام العربية والأدب بُونس ، أبو عبد الله محمد بن بحر ؛ لازمت مجلسه ، وأفدت عليه ، وكان بحراً زاخراً في علوم اللسان . وأشار عليّ بحفظ الشعر ؛ فحفظت كتاب الأشعار الستة ، والحماسة للأعلم<sup>(١)</sup> ، وشعر حبيب<sup>(٢)</sup> ، وطائفة من شعر المتبي<sup>(٣)</sup> ، ومن أشعار كتاب الاغاني . ولازمت أيضاً مجلس إمام المحدثين بُونس ؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الواديّاشي ، صاحب الرحلتين ؛ وسمعت عليه كتاب مُسلم بن الحجاج ، الا فتوتاً يسيراً من كتاب الصيد ؛ وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله الى آخره ،

(١) يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنمري المعروف بالأعلم - وفات ٤٦٥ هـ .

(٢) حبيب بن أوس الخارث الطائي أبو تمام ( ١٩٠ - ٢٢٦ ) : شاعر غني عن التعريف .

(٣) أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي الشاعر المعروف .

وبعضاً من الائمة الخمسة؛ وناولني<sup>(١)</sup> كتباً كثيرة في العربية والفقه ، وأجازني اجازة عامة ، وأخبرني عن مشايخه المذكورين في برئائهم ؛ أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن القمّاز الحزرجي .

وأخذت الفقه بتونس عن جماعة ؛ منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجيّاني ، وأبو القاسم محمد القصير ؛ قرأت عليه كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي ؛ مختصر المدونة ، وكتاب المالكية ، وتفقهت عليه . وكنت في خلال ذلك أُنْتَابُ بمجلس شيخنا الامام ، قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام ، مع أخي محمد رحمة الله عليهما . وأفدت منه ، وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطأ للامام مالك ، وكانت له فيه طرق عالية ، عن أبي محمد بن هارون الطائي قبل اختلاطه -- الى غير هؤلاء . من مشيخة تونس ، وكلّهم سمعت عليه ، وكتب لي ، وأجازني ؛ ثم درجوا كلّهم في الطاعون الجارف .

وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن ، عند ما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين ، جماعة من أهل العلم ، وكان يُلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه : فمنهم شيخ الفتياء بالمغرب ، وامام مذهب مالك ، أبو عبد الله محمد بن سليمان السّطّي ؛ فكنت أُنْتَابُ

(١) المناولة في اصطلاح المحدثين : نوع من الإجازة ، وهي أن يدفع الشيخ لطالبه أصل سماعه ، أو فرعاً مقابلاً بأصله ، ويقول له قد أجزت لك في روايته عني ( انظر كتب مصطلح الحديث ) .

مجلسه ، وأفدت عليه . ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن ، وصاحب علامته التي توضع أسافل مكتوباته ، امام المحدثين والنحاة بالمغرب ، أبو محمد بن عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي ؛ لازمته ، وأخذت عنه ، سماعاً ، وإجازة ، الامهات الست ، وكتاب الموطأ ، والسير لابن اسحق ، وكتاب ابن الصلاح في الحديث ، وكتباً كثيرة شذت عن حفظي . وكانت بضاعته في الحديث وافرة ، ونحلت في التقيد والحفظ كاملة ، كانت له خزانة من الكتب تريد على ثلاثة آلاف سفر ؛ في الحديث والفقه ، والعربية ، والادب ، والمعقول ، وسائر الفنون ؛ مضبوطة كلها ، مقابلة . ولا يخلو ديوان منها عن ثبت بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده الى مؤلفه ، حتى الفقه ، والعربية ، الغريبة الاسناد الى مؤلفيها في هذه العصور . ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي ، امام المقرئين بالمغرب . قرأت عليه القرآن العظيم ، بالجمع الكبير بين القراءات السبع ، من طريق أبي عمرو الداني ، وابن شريح<sup>(١)</sup> ، في ختمه لم أكملها ، وسمعت عليه عدة كتب ، وأجازني بالإجازة العامة .

ومنهم شيخ العلوم العقلية ، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي . أصله من تلمسان ، وبها نشأ ، وقرأ كتب التعاليم ، وحذق فيها .

(١) محمد بن شريح بن أحمد بن محمد أبو عبد الله الأشبيلي المقرئ ( ٣٨٨ - ٤٧٦ ) .

وأظله الحصار الكبير يتلمسان أعوام المائة السابعة؛ فخرج منها، وحجّ. ولقي أعلام المشرق يومئذ؛ فلم يأخذ عنهم؛ لأنه كان مختلطاً بعارض عَرَض في عقله. ثم رجع من المشرق، وأفاق، وقرأ المنطق والأصليين، على الشيخ أبي موسى عيسى بن الامام؛ وكان قرأ بتونس، مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن، على تلاميذ ابن زَيْتُون<sup>(١)</sup> الشهير الذكر؛ وجاء إلى تِلْمَسَان بعلم كثير من المعقول والمنقول، فقرأ الآبلي على أبي موسى مِنْهَا كما قلناه. ثم خرج من تِلْمَسَان هارباً إلى المغرب، لأن سلطانها يومئذ، أبو حَمُو من ولد يَغْمَرِاسْن بن زِيَّان، كان يُكْرِهُه على التَّصَرُّف في أعماله، وضبط الجباية بحُسْبَانِه، ففرَّ إلى المغرب، ولحق بمرَّاكش، ولزم العالم الشهير أبا العباس بن البَنَاء<sup>(٢)</sup> الشهير الذكر، فحصل عنه سائر العلوم العقلية، وورث مقامه فيها وأرفع، ثم صعد إلى جبال الهَسَا كَرَّة، بعد وفاة الشيخ، باستدعاء علي بن محمد بن تَرُوْمِيَّت، ليقراً عليه، فأفاده. وبعد أعوام استنزله مَلِك المغرب، السلطان أبو سَعِيد<sup>(٣)</sup>، وأسكنه بالبلد الجديد، والآبلي معه.

(١) القاسم بن أبي بكر بن مسافر شهر باني زيتون، يكنى أبا القاسم (٦٢١ - ٦٩١) رحل إلى المشرق، وأخذ عن علمائه، ورجع إلى تونس، فتولى بها الإفتاء والقضاء؛ وهو أول من أظهر تأليف فخر الدين الرازي بتونس، حيث كان يقرؤها. احمد بابا ص ٢٢٢.

(٢) أبو العباس احمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي (٦٥٤ - ٧٢٤) يعرف باني البناء العددي؛ ولد بمرَّاكش، وتعلم بها، وتوفي بها. الاستقصاء ٨٨/٢.

(٣) انظر اخباره في تاريخ ابن خلدون.

ثم اختصه السلطان أبو الحسن ، ونظمه في جملة العلماء بمجلسه ، وهو في خلال ذلك يُعلِّم العلوم العقلية ، ويُبشُّها بين أهل المغرب ، حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصارها ، وألحق الأصاغر بالأكابر في تعليمه . ولما قدم على تُونس في جملة السلطان أبي الحسن ، لزمته ، وأخذتُ عنه الاصلين ، والمنطق ، وسائر الفنون الحُكْمِيَّة ، والتَّعليمِيَّة ؛ وكان رَحِمَهُ اللهُ ، يشهد لي بالتَّبَرُّيز في ذلك .

ومن قديم في جملة السلطان أبي الحسن : صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المألقي<sup>(١)</sup> . كان يكتب عن السلطان ، ويلازم خِدْمَةَ أبي محمد عبد المهيمن رئيس الكتاب يومئذ ، وصاحب العلامة التي توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمحاطبات ، وبعضها يضعه السلطان بخطه . وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب ، في براعة خطه ، وكثرة علمه ، وحسن سمته ، وإجادته في فقه الوثائق ، والبلاغة في الترسيل عن السلطان ، وحوك الشعر ، والخطابة على المنابر ؛ لانه كان كثيراً ما يصلِّي بالسلطان . فلما قدم علينا بتونس ، صحبتُه ، واغتبطت به ، وإن لم اتَّخِذْهُ شيخاً ، لمقاربة السن ، فقد أفدت منه كما أفدت منهم . وقد مدَّحه صاحبنا أبو القاسم الرَّحْوي شاعر تُونس في قصيدة على رَوِيَّ النون ، يرغب منه تذكرة<sup>(٢)</sup>

(١) انظر اخباره في العبر .

(٢) كذا بالأصل ، وفي نسخة طبع بولاق : يرغب منه ان يذكره شيخه .

شيخه أبي محمد عبد المهيمن في إيصال مدحه الى السلطان أبي الحسن،  
في قصيدته<sup>(١)</sup> على روي الباء، وقد تقدم ذكرها في أخبار السلطان .  
وذكر في مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان وهي  
هذه :

عرفتُ زمانِي حين أنكرتُ عرفاني  
وأيقنتُ أن لا حظَّ في كفِّ كيوان<sup>(٢)</sup>  
وأن لا اختيارُ في اختيارٍ مقوِّمٍ وأن لا قراعُ بالقرانِ لأقرانٍ<sup>(٣)</sup>  
وأنَّ نظامَ الشَّكلِ<sup>(٤)</sup> اكملَ نظمه لا ضَعْفُ قاضٍ في الدَّليل برُجْحانٍ  
وان افتقار المراء في فقراته ومن ثقله يُغني اللبيبَ بأوزانٍ  
فمن بعد ما شمت الخلاب ولم أرعْ لهشة راضٍ او لشرَّة غضبانٍ  
ولم يُعشني للنار لمعُ شعاعها فما كل نارٍ نارَ موسى بنِ عمرانٍ  
ولم يبق لي في الغيب من املٍ سوى لقاء ابنِ رضوانٍ وجنةِ رضوان

(١) كذا ، وفي ب : في قصيدة .

(٢) كيوان : اسم لرحل ، وهو احد الكواكب السيارة .

(٣) مقوم الكوكب : موضعه ( طوله ) من فلك البروج ( الدائرة الكسوفية ) ، والقران : اجتماع كوكبين سيارين في نقطة واحدة من فلك البروج ، ويشير الرحوي الى ما يزعمه المنجمون من ان الكوكب اذا كان في موضع معين في فلك البروج ، او اقترن بكوكب آخر في نقطة معينة ، كان له اثر حسن . او سيء ، في اعمال الانسان .

(٤) نظام الشكل : شكل الفلك ، يريد وضعه في وقت معين ، وهو ما يعرف عندهم بالنصبة الفلكية . ونظام الشكل : كناية عن حسن دلالاته . يقول : مها انتظم الشكل فانه اضعف قاض في دلالة القران على رجحان عمل على آخر .







عَمِيَ الْأَخْفِشَانُ عَنْهُ وَسُدَّتْ عَنْ خَفَايَاهُ فِطْنَةُ الْفَارِسِيِّ  
يَا أَخَا الْحُكْمِ فِي الْأَنَامِ وَإِنِّي لِأَنَادِي رَبَّ النَّدَى وَالنَّدَى  
بِنْتُ فِكْرِي تَعَرَّضْتُ لِحِمَاكُمُ فَالْقَهْرُ رَاضِيًا بِوَجْهِ رَضِي  
تَبْتَغِي الْقُرْبَ مِنْ مِرَاقِي الْأُمَانِي وَالتَّرَقِّي لِلْجَانِبِ الْعَلَوِيِّ  
فَأَنِلْهَا بِرَامَاهَا نَلْتَ سَهْلًا كُلَّ دَانٍ تَبْغِي وَكُلَّ قَصِيٍّ

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان ، في فاتحة تسع وأربعين ، فشغلوا عن ذلك ، ولم يظفر هذا الرَّحْوِي بِطَلَبَتِهِ . ثم جاء الطاعون الجارف ، فطوى السَّاسَاطَ بِمَا فِيهِ ، وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ، ودفن بمقبرة سلفنا بتونس ، لُحِلَّةٌ كانت بينه وبين والدي ، رحمه الله ، أيام قدومهم علينا .

فلما كانت واقعة القيروان ، ثار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياع السلطان أبي الحسن ، فاعتصموا بالقصبة دار الملك ، حيث كان ولد السلطان وأهلُه ، وانتفض عليه ابن تَافْرَاكِينَ ، وخرج من القيروان إلى العرب ، وهم يحاصرون السلطان ، وقد اجتمعوا على ابن أبي دبوس ، وبايعوا له ، كما مرَّ في أخبار السلطان ، فبعثوا ابن تَافْرَاكِينَ إلى تونس ، فحاصر القصبة ، وامتنت عليه . وكان عبد المهيمن يوم ثورة أهل تونس ، ووقوع الهَيْعَةِ ، خرج من بَيْتِهِ إلى دَارِنَا ، فاخفى عند أبي رحمه الله ، وأقام مختفياً عندنا نحواً من ثلاثة

أشهر . ثم نجا السلطان من القَيْرَوَان الى سُوسَة ، وركب البحر الى  
تونس ، وفرّ ابن تَافَرَاكِين الى المشرق . وخرج عبد الميّمَن من  
الاختفاء ، وأعاد السلطان الى ما كان عليه ، من وظيفة العَلَامَة  
والكتابة ، وكان كثيراً ما يخاطب والذي رحمه الله ويشكره على  
مُوالاته ، ومما كتب اليه وحفظته من خطّه :

لحمدِ ذوي المكارم قد ثناني      فعَالَ شكرهُ أبدأ عَنَانِي  
جزَى الله ابنَ خلدونِ حياةً      منعمةً وخُلداً في الجنانِ  
فكم أُولي ووَالي من جميل      وبرٍ بالفعلِ وباللسانِ  
وراعى الحُضْرَمِيَّةَ في الذي قد      حباً من ودّه ومن الحُفَانِ  
أبا بكر ثناءك طولَ دهرى      أُرِدِّد باللسانِ وبالجنانِ  
وعن عليّك ما امتدّت حياتي      أكافح بألحسامِ وبالسّنانِ  
فنك أفدتِ خلاّلتُ دهرى      أَرى عن حبه أثني عَنَانِ

وهؤلاء الأعلام الذين ذكرهم الرَّحوي في شعره ، هم سَباق  
الحلبة في مجلس السُّلطان أبي الحسن ، اصطفاهم لصحبته من بين أهل  
المغرب . فأما ابنا الامام <sup>(١)</sup> منهم فكانا اخوين من اهل بَرَشَك ، من  
اعمال تلمسان ، واسم اكبرهما : ابو زيد عبد الرحمن ، واسم الاصغر :

(١) انظر ترجمة ابني الامام في الديباج ص ١٥٢ . وفي تاريخ ابن خلدون بعض اخبارهما .

ابو موسى عيسى ، وكان ابوهما اماما ببعض مساجد برشك ،  
وأتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم<sup>(١)</sup> ابن حماد ، بأن عنده  
وديعة من المال لبعض اعدائه ، فطالبه بها ، فلاذ بالامتناع ، وبيته  
زيرم ، لينتزع المال من يده ، فدافعه وقتل<sup>(٢)</sup> وارتحل ابنه  
هذان الأخوان الى تونس في المئة السابعة ، واخذوا العلم بها عن تلاميذ  
ابن زيتون ، وتفقهوا على اصحاب ابي عبد الله ابن شعيب الدكالي ،  
وانقلبا الى المغرب بحظ وافر من العلم . وأقاما بالجزائر يبتان بها العلم ،  
لامتناع برشك عليهما من أجل [ ضرر ] زيرم المتغلب عليها ،  
والسلطان ابو يعقوب يومئذ ، صاحب المغرب الأقصى من بني مرين ،  
جاثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور<sup>(٣)</sup> ، وقد بث  
جوشه في نواحيها ، وغلب على الكثير من أعمالها وأمصارها ، وملك  
عمل مغراوة بشلف ، وحاضرتة مليانة ، فبعث عليها الحسن بن علي  
ابن ابي الطلاق من بني عسكر ، وعلي بن محمد الحيري من بني  
ورتاجن ، ومعهما - لضبط الجباية واستخلاص الأموال - الكاتب  
منديل بن محمد الكيناني ، فارتحل هذان الأخوان يومئذ من الجزائر ،

(١) اسمه زيري بالياء ، فتصرفت العامة فيه ، وصار زيرم بالميم . وانظر اخباره في تاريخ ابن  
خلدون .

(٢) وقد اتفق لهذا الوالد ابنه الاكبر ، ابو زيد عبد الرحمن . - العبر .

(٣) دام هذا الحصار ثمانية اعوام ، وثلاثة اشهر . انظر اخباره ، وما جره على اهل  
تلمسان من محن ، في العبر .



وفدا عليه في الأوقات التي يفد فيها أعيان بلدهما . ثم استنفرهما للغزو ، وحضرا معه واقعة طريف ، وعادا الى بلدهما . وتوفي أبو زيد منها إثر ذلك ، وبقي اخوه أبو موسى متبرئاً ما شاء من ظلال تلك الكرامة .

ولما سار السلطان أبو الحسن الى إفريقية سنة ثمان واربعين ، كما مر في أخباره استصحب أبا موسى بن الامام معه مكرماً موقراً ، عالي المحل ، قريب المجلس منه . فلما استولى على إفريقية ، سرّحه الى بلده ، فاقام بها يسيراً ، وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع واربعين . وبقي أعقابهم يتلمسان دارجين في مسالك تلك الكرامة ، ومثقلين قلها طبقاً عن طبق الى هذا العهد .

واما السّطي ، واسمه محمد بن علي بن سليمان ، من قبيلة سطة ، من بطون أورّبة بنواحي فاس . نزل أبوه سليمان مدينة فاس ، ونشأ محمد بها واخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن الصّغير<sup>(١)</sup> إمام المالكية بالمغرب ، والطائر الذّكر ، وقاضي الجماعة بفاس ، وتفقه عليه . وكان احفظ الناس لمذهب مالك ، وأفقههم فيه . وكان السلطان أبو الحسن لدينه وسراوته ، وبعد شأوه في الفضل ، يتشوّف الى تنويه مجلبسه بالعلماء ،

(١) هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي أبو الحسن ، يعرف بالصغير ( مصغراً ) الاستقصا ٨٨/٢ . ولابن خلدون رأي في أبي الحسن هذا . انظره في العبر .

واختار منهم جماعةً لصحَابته ومجالسته . كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان . وقدم علينا بتونس في جلته ، وشهدنا وفورَ فضائله . وكان في الفقه من بيها لا يُجَارى ، حفظاً وفيها ، عهدي به وأخي محمد رحمه الله يقرأ عليه من كتاب التَّبصرة لابي الحسن اللّخمي ، وهو يُصَحِّحه عليه من املائه وحفظه ، في مجالس عديدة . وكذا كان حاله في اكثر ما يُعاني حمله من الكتب . وحضر مع السلطان ابي الحسن ، واقعة القيروان ، وخلص معه الى تونس ، واقام بها نحواً من ستين . وانتقض المغرب على السلطان ، واستقل به ابنه ابو عتّان . ثم ركب السلطان ابو الحسن في اساطيله من تونس آخر سنة خمسين ، ومروا بجاية ، فادركه الفرق في سواحلها ، ففرقت اساطيله ، وغرق اهله ، واكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم . وألقاه البحر ببعض الجزر هناك ، حتى استنقذه منه بعض اساطيله ، ونجا الى الجزائر بعد ان تلف موجوده ، وهلك الكثير من عياله واصحابه ، وكان من امره ما مرّ في اخباره .

واما الآبلي<sup>(١)</sup> واسمه محمد بن ابراهيم ، فنشأه بتلمسان ، واصله من جالية الاندلس ، من اهل آيلة ، من بلاد الجوف<sup>(٢)</sup> منها ، اجاز

(١) محمد بن ابراهيم الآبلي هذا ، من اخص اساتذة ابن خلدون ، وهو - فيما تحدثت به المراجع - عالم ذو مكانة بعيدة المدى في الثقافة الاسلامية بالمغرب .

(٢) المراد بالجوف ، الشمال في لغة المغاربة والاندلسيين . تاريخ ابن خلدون م ؛ الاستقصا

ابوه وعمه احمد ، فاستخدمهم يغير آسن بن زيّان ، وولده في جندهم ،  
واصهر ابراهيم منها الى القاضي بتليمسان محمد بن غلبون في ابنته ،  
فولدت له محمداً هذا . ونشأ بتليمسان في كفاية جده القاضي ؛ فنشأ  
له بذلك ميل الى انتحال العلم عن الجندية التي كانت مُنتحل ابيه  
وعمه . فلما يقع وادرك ، سبق الى ذهنه محبة التعاليم ؛ فبرع فيها ،  
واشتهر . وعكف الناس عليه في تعلّمها وهو في سنّ البلوغ . ثم  
اُطلّ السلطان يوسف بن يعقوب على تليمسان ، وجثّم عليها  
يُحاصرها . وسير بعوثه الى الاعمال ؛ فافتتح اكثرها . وكان ابراهيم  
الايّلي قائداً بهّين ؛ مرّسى تليمسان في لمة من الجند . فلما ملكها  
يوسف بن يعقوب ، اعتقل من وجدها من شيع ابن زيّان ، واعتقل  
ابراهيم الايّلي فيهم . وشاع الخبر في تليمسان بأن يوسف بن يعقوب  
يسترهن أبناءهم ويطلبهم ؛ فتشوّف ابنه محمد الى اللحاق به ، من  
اجل ذلك . واغراه اهله بالعزم عليه ؛ فتسوّر الاسوار ، وخرج الى  
ابيه ؛ فلم يجد خبر الاسترهان صحيحاً . واستخدمه يوسف بن يعقوب  
قائداً على الجند الاندلسيين بتاوريرت ، فكره المقام على ذلك ،  
ونزع عن طوره ، ولبس المُسوح ، وسار قاصداً الحج . وانتهى الى





الفرار منه ، ولحق بفاس أيام السلطان ابي الربيع <sup>(١)</sup> . وبعث فيه ابو حمو ؛ فاخفى بفاس عند شيخ التعاليم من اليهود ، خلوف المغيلي ؛ فاستوفي عليه فنونها ، وحذق . وخرج متوارياً من فاس ؛ فلحق بمراكش ، أعوام العشر والسبع مائة . ونزل على الامام ابي العباس بن البناء شيخ المعقول والمنقول ، والمبرز في التصوف علماً وحالاً ؛ فلزمه ، واخذ عنه . وتضلع من علم المعقول والتعاليم والحكمة . ثم استدعاه شيخ الهسا كرة علي بن محمد بن تروميت ليقراً عليه ، وكان ممرضاً في طاعته للسلطان ؛ فصعد إليه شيخنا وأقام عنده مدة ؛ قرأ عليه فيها وحصل . واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ ، فكثرت إفادته ، واستفادته ، وعلي بن محمد في ذلك على تعظيمه ، ومحبته ، وامثال إشارته ؛ فغلب على هواه ، وعظمت رياسته بين تلك القبائل . ولما استنزل السلطان أبو سعيد علي بن تروميت من جبله ، نزل الشيخ معه ، وسكن بفاس . وانشال عليه طلبة العلم من كل ناحية ؛ فانتشر علمه ، واشتهر ذكره ؛ فلمّا فتح السلطان أبو الحسن تليمان ولقي أبا موسى بن الامام ، ذكره له بأطيب الذكر ، ووصفه بالتقدم في العلوم . وكان السلطان معنياً بجمع العلماء لمجلسه ، كما ذكرنا . فاستدعاه من مكانه بفاس ، ونظمه في طبقة

(١) هو سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب بن يوسف بن عبد الحق المريني ، يكنى أبا الربيع .























































































































به<sup>(١)</sup> بالاغتباط الذي راق قَسَامَا<sup>(٢)</sup> وتوفّر اقساماً ، واعلن له بالقبول  
إن نوى بعد النَّوَى رجوعاً أو آثر على الظَّنَّ المزَمَّ مقاماً .

أمر به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ، الأمير عبد الله محمد بن  
مولانا أمير المسلمين أبي الحجّاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن  
نصر ، أيد الله أمره ، وأعزّ نصره ، وأعلى ذكره ، للوليّ الجليل ،  
الحظيّ المكين ، المقرّب الأودّ الأحبّ ، الفقيه الجليل ، الصدر  
الأوحد ، الرئيس العلم ، الفاضل الكامل ، المرفّع الأسمى ، الأظهر  
الأرضى ، الأخلص الأصفى ، أبي زيد عبد الرحمن بن الشيخ الجليل ،  
الحسيب الأصيل ، الفقيه المرفّع المعظم ، الصّدّر الأوحد الأسنى ،  
الأفضل الأكمل ، الموقر المبرور ، أبي يحيى أبي بكر ، ابن الشيخ  
الجليل الكبير ، الرفيع الماجد ، القائد الحظيّ ، المعظم الموقر ، المبرور  
المرحوم ، أبي عبد الله بن خلدون . وصل الله له أسباب السعادة ،  
وبلّغه من فضله أقصى الارادة ؛ أعلن بما عنده ، أيده الله ، من الاعتقاد  
الجميل في جانبه المرفّع ، وإن كان غنياً عن الاعلان ، وأعرب عن  
معرفته بمقداره ، في الحسبَاء العلماء الرؤساء الأعيان ، وأشاد باتّصال  
رضاه عن مقاصده البرّة وشيمه الحسان ، من لدُنْ وفد بابّه ، وفادة

(١) كذا بالاصول . والعبارة مضطربة . ولم نعثّر في المراجع التي بين ايدينا على تصويبها .

(٢) القَسَام : الجمال والحسن .

العزَّ الراسخ البُنيان ، وأقام المُقام الذي عيَّن له رِفعة المكان ، وإجلالَ الشان ، إلى أن عَزَمَ على قصد وطنه ، أبلغه الله ذلك في ظلِّ اليُمن والأمان ، وكفالة الرَّحمن بعدَ الاغتياب المُربِّي على الحَبَر بالعيان ، والتمسُّك بِجِوارِه بِجُهد الامكان ، ثمَّ قَبول عُذْرِه بما جُبلت الأَنفس عليه من الحنين الى المعاهد والأوطان . وبعد أن لم يَذْخِر عنه كرامةً رَفيعةً ، ولم يَحْجُب عنه وجهَ صَنيعة ، فوَلَّاه القيادة والسِّفارة ، وأحلَّه جليساً معتمداً بالاستشارة ، وألَبَّسه من الحُطوة والتقريب أبهى الشارة ، وجَمَلَ محلَّه من حضرتِه مقصوداً بِالمِثل مَعْنياً بِالإشارة ، ثمَّ أَصَحَّبه تشييعاً يشهد بالضَّمانة بِفراقه ، ويجمع له بِرَّ الوجهة من جميع أَفاقه ، ويجعله بيده رَتيمةً خَضر<sup>(١)</sup> ، ووثيقة سامع أو مُبصر ، فمها لوى أَخدعه<sup>(٢)</sup> الى هذه البلاد بعد قضاء وطَرِه ، وتَمَلَّيه من نَهْمَة<sup>(٣)</sup> سَفَرِه ، أو نزع به حُسنُ العهد وحنين الوُدِّ ، فَصَدُرُ العناية به مشروح ، وبابُ الرضا والهُيُول مفتوح ، وما عَهِدِه من الحُطوة والبرِّ مَنوح . فما كان القصدُ في مثله من إيجاد الأولياء . ليتحوَّل ، ولا الاعتقادُ الكَرِيم ليتبدَّل ، ولا الأخيرُ من الأحوال

(١) الرتيمة : الخط الذي يشد في الأصبع لتستذكر به الحاجة .

(٢) الأخدعان : عرقان في موضع الحِجامة من العنق ، والواحد أخدع ؛ يكنى بلي الأخدعين عن العودة الى هذه البلاد .

(٣) النهمة : الحاجة ، وبلوغ الهمة في الشيء .

لينسخ الأول . على هذا فليطور ضميره ، وليرد متى شاء ثميره <sup>(١)</sup> ، ومن وقف عليه من القواد والأشياخ والحدّام ، برّاً وبحراً ، على اختلاف الخطط والرتب ، وتباين الأحوال والنسب ، أن يعرفوا حقّ هذا الاعتقاد ، في كل ما يحتاج إليه من تشييع ونزول ؛ وإعانة وقبول ، واعتناء موصول ، الى أن يكمل الغرض ، ويؤدّي من امثال هذا الأمر الواجب المفترض ، بحول الله وقوته .

وَلَتَبْ فِي التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى عَامَ سِتَّةِ وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ، ونصّها : « صح هذا » .

الرحلة من الاندلس الى بجاية ، وولاية الحجابة بها

على الاستبداد

كانت بجاية تُغرّاً لأفريقية في دولة بني أبي حفص من الموحّدين . ولما صار أمرهم للسلطان أبي بكر بن يحيى منهم ، واستقلّ بملك إفريقية ، ولى في ثغر بجاية ابنه الأمير أبا زكرياء ، وفي ثغر قسنطينة ابنه الأمير أبا عبد الله . وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط ، ينازعونه في أعماله ، ويُجَمِّرون <sup>(٢)</sup> العساكر على بجاية ،

(١) الثمير من الماء : الزاكي ، الناجع .

(٢) جر الجيش : جمعه . وهي كلمة يستعملها ابن خلدون كثيراً .

وَيُجْلِبُونَ عَلَى قُسْنَطِينَةَ ، إِلَى أَنْ تَمْسِكَ السُّلْطَانُ أَبُو بَكْرٍ بِذِمَّةٍ مِنْ  
السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ ، مَلِكِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَنِي مَرِينٍ ، وَلَهُ  
الشَّفُوفُ عَلَى سَائِرِ مَمْلُوكِهِمْ . وَزَحَفَ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى  
تِلِمَسَانَ ؛ فَأَخَذَ بِمَخَنَقِهَا سَتَيْنِ أَوْ أَزِيدَ ، وَمَلَكَهَا عَنُوةً ، وَقَتَلَ  
سُلْطَانَهَا أَبَا تَاشَفِينَ ، وَذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ . وَخَفَّ مَا كَانَ عَلَى  
الْمُوحِدِينَ مِنْ إِصْرٍ <sup>(١)</sup> بَنِي عَبْدِ الْوَادِ ، وَاسْتَقَامَتْ دَوْلَتُهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ أَبُو  
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى بِقُسْنَطِينَةَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ ، وَخَلَّفَ  
سَبْعَةً مِنَ الْوَلَدِ ، كَبِيرُهُمْ أَبُو زَيْدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، ثُمَّ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ،  
فَوَلَّى الْأَمِيرَ أَبَا زَيْدٍ مَكَانَ أَبِيهِ ، فِي كِفَالَةِ نَبِيلٍ مَوْلَاهُمْ . ثُمَّ تُوُفِيَ  
الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَا بِبِجَايَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، وَخَلَّفَ ثَلَاثَةً مِنَ الْوَلَدِ ،  
كَبِيرُهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ الْأَمِيرَ أَبَا  
حَفْصَ عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ أَهْلُ بِجَايَةِ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَكْرِيَا ،  
وَانْحَرَفُوا عَنْ الْأَمِيرِ عُمرَ وَأَخْرَجُوهُ . وَبَادَرَ السُّلْطَانُ فَرَقَعَ هَذَا  
الْخَرْقَ ، بِوَلَايَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَمَا طَلَبُوهُ . ثُمَّ تُوُفِيَ السُّلْطَانُ أَبُو بَكْرٍ  
مُتَنَصِّفَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَزَحَفَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ فَلَمَكَهَا ، وَنَقَلَ  
الْأَمْرَ مِنْ بِجَايَةِ وَقُسْنَطِينَةَ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَأَقْطَعَ لَهُمْ هُنَاكَ ، إِلَى أَنْ  
كَانَتْ حَادِثَةُ الْقَمَرَوَانِ ، وَخَلَعَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ أَبَاهُ . وَارْتَحَلَ مِنْ

(١) الإِصْرُ : الْأَمْرُ الَّذِي يَنْفُلُ حَمْلُهُ .

تِلْمَسَان ، الى فاس ؛ فنَقَلَ معه هؤلاء الأُمراء ، أهلَ بجاية وقُسْطَينَة ، وخطبهم بنفسه ، وبِالِغ في تَكْرِمتهم . ثم صرفهم الى ثغورهم : الأَميرَ أبا عبد الله أَوَّلًا ، وإِخْوَتَه من تِلْمَسَان ، وأبا زيد وإِخْوَتَه من فاس ، لِيَسْتَبِدُّوا بثغورهم ، ويُخَذِّلُوا الناسَ عن السلطان أبي الحسن ؛ فوصلوا الى بلادهم ، وملكوها بعد أن كان الفضلُ بن السلطان أبي بكر قد استولى عليها من يد بني مَرِين ؛ فانترغوها منه . واستقرَّ أبو عبد الله بجاية ، حتى إذا هلك السلطان أبو الحسن بجبال المصامدة ، وزحف أبو عَنان الى تِلْمَسَان سنة ثلاث وخمسين ؛ فهزَمَ ملوكها من بني عبد الواد ، وأبادهم ، ونزل المدينة ، وأطلَّ على بجاية . وبادر الأَميرُ أبو عبد الله للقاءه ، وشكا إليه ما يلقاه من زُبُون<sup>(١)</sup> الجُند والعرب ، وقِلَّةِ الجباية . وخرج له عن ثغر بجاية فلكها ، وأنزل عَمَّالَه بها . ونقل الأَميرَ أبا عبد الله معه الى المغرب ؛ فلم يزل عنده في حَفَاية<sup>(٢)</sup> وكرامة . ولما قدِمَتْ على السلطان أبي عَنان آخر خمس وخمسين واستخلصني ، نبَضَتْ عُروق السَّوابق بين سَلَفِي وسَلَفِ الأَميرِ أبي عبد الله ، واستدعاني للصَّحابة فأسرعت ، وكان السلطانُ أبو عَنان شديد الغيرة من مثل ذلك . ثم كثر المنافسون ، ورفعوا الى السلطان ، وقد طَرَقَه مرضٌ أَرْجَفَ له الناس ؛ فرفعوا له

(١) يستعمل ابن خلدون الزبون اسما بمعنى الحرب .

(٢) الحفاية : المبالغة في الإكرام ، كالحفاوة .

أن الأمير أبا عبد الله اعتزَم على<sup>(١)</sup> الفرار إلى بَجَاية ، وأني عاقدته على ذلك ، على أن يُؤَلِّني حِجَابَتَهُ ؛ فانبعثَ لها السلطان ، وسَطابنا ، واعتقلني نحواً من سنتين إلى أن هلك . وجاء السلطان أبو سالم ، واستولى على المغرب ، ووليتُ كتابة سرّه . ثم نهض إلى تَلِمَسَان ، وملكها من يد بني عبد الواد ، وأخرج منها أبا حَمُو موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يَغْمَرِاسَن ، ثم اعتزَم على الرجوع إلى فاس ، ووُلِّيَ على تَلِمَسَان أبا زِيَّان محمد بن أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي تَاشِفِين ، وأمدّه بالأموال والعساكر من أهل وطنه ، ليدافع أبا حَمُو عن تَلِمَسَان ، ويكونَ خالصةً له . وكان الأمير أبو عبد الله صاحب بَجَاية معه كما ذكرناه ، والأمير أبو العباس صاحب قُسَنْطِينَة ، بعد أن كان بنو مَرِين حاصروا أخاه أبا زيد بقُسَنْطِينَة أعواماً تباعاً . ثم خرج لبعض مذهبهِ إلى بُونَة ، وترك أخاه أبا العباس بها ؛ فخلعه ، واستبدَّ بالأمر دونه . وخرج إلى العساكر الحجَّرة عليها من بني مَرِين ؛ فهزموهم ، وأثخنَ فيهم . ونهض السلطان إليه من فاس ، سنة ثمان وخمسين ؛ فتهرباً منه أهل البلد وأسلموه ؛ فبعثه إلى سَبْتَة في البحر ، واعتقله بها ، حتى إذا ملك السلطان أبو سالم سَبْتَة عند إجازته من الأندلس سنة ستين ، أطلقه من الاعتقال ، وصحبهِ إلى دار مُلكه ،

(١) اعتزَم على الشيء : أراد فعله ، كعزم عليه .

ووعده برده بلده عليه .

فلما ولّى ابا زيّان على تلمّسان ، أشار عليه خاصّته ونصحاؤه ، بأن يبعث هؤلاء الموحّدين إلى ثغورهم : فبعث أبا عبد الله إلى بجاية ، وقد كان ملكها عمّه أبو إسحق صاحب تونس ، ومكفول ابن تافراكين من يد بني مرّين ؛ وبعث أبا العباس إلى قسنطينة ، وبها زعيم من زعماء بني مرّين . وكتب إليه السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها ، فملكها لوقته . وسار الأمير أبو عبد الله إلى بجاية ، فطال إجلاله عليها ، ومعاودته حصارها . ولجّ<sup>(١)</sup> أهلها في الامتناع منه مع السلطان أبي إسحق . وقد كان لي المقام المحمود في بعث هؤلاء الأمراء إلى بلادهم . وتولّيت - كبر<sup>(٢)</sup> ذلك مع خاصة السلطان أبي سالم وكبار أهل مجلسه ، حتى تمّ القصد من ذلك . وكتب لي الأمير أبو عبد الله بخنّطه عهداً بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه ؛ ومعنى الحجابة - في دولنا بالمغرب - الاستقلال بالدولة ، والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته ، لا يشاركه في ذلك أحد . وكان لي أخ اسمه يحيى<sup>(٣)</sup> أصغر مني ، فبعثته مع الأمير أبي عبد الله حافظاً للرسم ، ورجمت مع السلطان إلى فاس . ثم كان

(١) لجّ : غادى في الخصومة .

(٢) الكبر : معظم الشيء ، والشرف .

(٣) قتل يحيى بن خلدون هذا في سنة ٧٨٠ ، بأمر أبي تاشفين بن أبي زيّان ؛ وكان مؤرخاً ، وأديباً ؛ ويأتي في كلام ابن الخطيب ثناء على كتابته الأدبية . له كتاب : «بقية الرواد» ، في أخبار بني عبد الواد .

ماقدّمته من انصرافي الى الاندلس والمقام بها ، إلى أن تنكّر الوزير ابن الخطيب ، وأظلم الجو بيني وبينه .

وبينا نحن في ذلك ، وصل الخبر باستيلاء الأمير أبي عبد الله على بجاية من يد عمّه ، في رمضان سنة خمس وستين ؛ وكتب الأمير أبو عبد الله يستقدمني ، فاعتزمت على ذلك ، ونكر السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر ذلك مني ، لا يظنه لسوى ذلك ، إذ لم يطلع على ما كان بيني وبين الوزير ابن الخطيب ، فأمضيت العزم ، ووقع منه الاسعاف ، والبر والالطاف . وركبت البحر من ساحل المريّة ، منتصف ست وستين . ونزلت بجاية لخامسة من الاقلاع ، فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدمي ، وأركب أهل دولته للقائي . وتهافت أهل البلد عليّ من كل أوب يسبحون أعطاني ، ويقبلون يدي ، وكان يوماً مشهوداً .

ثم وصلت الى السلطان فحيّاً وفدّئ<sup>(١)</sup> ، وخلع وحمل<sup>(٢)</sup> ؛ وأصبحت من الغد ، وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي ، واستقلكت بحمل ملكه ، واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدير سلطانه ، وقدّمني للخطابة بجامع القصبة ، وأنا مع ذلك ، عاكف

(١) فدئ : قال جعلت فداك .

(٢) حمل : أعطاه ظهراً يحمل عليه .

بعد انصرافي من تدبير الملك 'غذوة' — الى تدريس العلم أثناء النهار  
بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك .

ووجدتُ بينه وبين ابن عمِّه السلطان أبي العباس صاحب  
'قسنطينة فتنة' ، أحدثها المُشاحَّة في حدود الاعمال من الرعايا والعمال ،  
وشبَّ نارَ هذه الفتنة عربُ اوطانهم من الدَّوَادَة من رياح ، تنفيقاً  
لسوق الزُّبُون يَمْتَرُونَ <sup>(١)</sup> به أموالهم . وكانوا في كلِّ سنة يجمع  
بعضهم لبعض ؛ فالتقوا سنة ست وستين بقرَّ جيوَة ، وانقسم العربُ  
عليها . وكان يعقوب بنُ عليٍّ مع السلطان أبي العباس ؛ فانهزم  
السلطان أبو عبد الله ، ورجع إلي بجاية مفلولاً ، بعد ان كنتُ  
جمعتُ له أموالاً كثيرةً أنفقَ جميعها في العرب . ولما رجع أعوزته  
النفقة ؛ فخرجتُ بنفسي إلى قبائل البربر بجبال بجاية المتمنعين من  
المغارم منذُ سنين ؛ فدخلتُ بلادهم واستبحتُ حاهم ، واخذتُ  
رهنهم على الطاعة ، حتى استوفيت منهم الجباية ، وكان لنا في  
ذلك مددٌ وإعانة ؛ ثم بعث صاحبُ تيمَّسان إلى السلطان أبي  
عبد الله يطلبُ منه الصَّهر ؛ فأسعفه بذلك ليصلَ يده به على ابن عمِّه ،  
وزوَّجه ابنته ؛ ثم نهض السلطان أبو العباس سنة سبع وستين ،  
وجاس اوطانَ بجاية ، وكاتبَ أهل البلد ، وكانوا وجليين من

(١) يَمْتَرُونَ به أموالهم : يستخرجونها .

السلطان أبي عبد الله ، بما كان يُرِهفُ الحَدَّ لهم ، وَيَشُدُّ وِطَاقَهُ عليهم ؛ فأجابوه إلى الانحراف عنه . وخرج السلطان أبو عبد الله يروم مُدَافَعَتَهُ ، ونزَلَ جَبَلَ لِيَزُو مُقْتَصِمًا بِهِ ؛ فَبَيَّتَهُ السلطان أبو العباس في عساكره وجموع الأعراب من اولاد محمد بن رباح بمكانه ذلك ، باغراء ابن صَخْرٍ وَقِبَائِلِ سِدَوِيكَش<sup>(١)</sup> . وَكَبَسَهُ فِي خَيْمِهِ وَرَكُضَ هَارِبًا ، فَلَحِقَهُ وَقَتَاهُ ، وَسَارَ إِلَى الْبَلَدِ بِمُوَاغِدَةِ أَهْلِهِ . وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ بِذَلِكَ ، وَأَنَا مَقِيمٌ بِقَصَبَةِ السُّلْطَانِ وَقُصُورِهِ ، وَطَلَبَ مِنِّي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ الْقِيَامَ بِالْأَمْرِ ، وَالْبَيْعَةَ لِبَعْضِ الصَّبِيَّانِ مِنْ أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ ؛ فَتَفَادَيْتُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَخَرَجْتُ إِلَى السُّلْطَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَكْرَمَنِي وَحَبَّانِي ، وَأَمَكَّتُهُ مِنْ بَلَدِهِ ، وَأَجْرَى أَحْوَالِي كُلَّهَا عَلَى مَعْهُودِهَا . وَكَثُرَتِ السَّعَايَةُ عِنْدَهُ فِيَّ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مَكَانِي . وَشَعَرْتُ بِذَلِكَ ؛ فَطَلَبْتُ الْإِذْنَ فِي الْإِنْصِرَافِ بِمَعْهُدٍ كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَأَذِنَ لِي بَعْدَ لَاأَيَّ<sup>(٢)</sup> ؛ وَخَرَجْتُ إِلَى الْعَرَبِ ، وَنَزَلْتُ عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ عَلِيٍّ . ثُمَّ بَدَأَ لِلْسُّلْطَانِ فِي أَمْرِي ، وَقَبِضَ عَلَى أَخِي ، وَاعْتَقَلَهُ بِبُونَةِ . وَكَبَسَ بِيُوتَنَا يُظَنُّ بِهَا ذَخِيرَةٌ وَأَمْوَالٌ ؛ فَأَخْفَقَ

(١) عرفت هذه القبائل بهذا الاسم منذ القديم ، وديارها في مواطن كنامة ، في البسائط الواقعة

بين فسنطينة ، وبجاية .

(٢) بعد ابطاه .

ظَنَّهُ . ثم ارتحلتُ من أحياء يعقوب بن عليّ ، وقصدتُ بَسْكَرَةَ<sup>(١)</sup> ،  
لِصِحَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنَ شَيْخِهَا أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مَزْنِي ، وَبَيْنَ أَبِيهِ ،  
وَسَاهِمٍ فِي الْحَادِثِ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ .

### مشايعة أبي حمو صاحب تلمسان

كَانَ السُّلْطَانُ أَبُو حَمُو<sup>(٢)</sup> قَدْ التَحَمَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ أَبِي  
عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبِ بِيْجَايَةِ بِالصَّهْرِ فِي ابْنَتِهِ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ بِيْتِلْمَسَانَ .  
فَلَمَّا بَلَغَهُ مَقْتَلُ أَبِيهَا ، وَاسْتِيلَاءُ السُّلْطَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنَ عَمِّهِ صَاحِبِ  
قُسْطَنْطِينَةِ عَلَى بِيْجَايَةِ ، أَظْهَرَ الْاِمْتِعَاضَ لَذَلِكَ . وَكَانَ أَهْلُ بِيْجَايَةِ قَدْ  
تَوَجَّسُوا<sup>(٣)</sup> الْحَيْفَةَ مِنْ سُلْطَانِهِمْ ، بِإِرْهَافِ حَدِّهِ ، وَشِدَّةِ سَطْوَتِهِ ؛  
فَانْحَرَفُوا عَنْهُ بَاطِنًا ، وَكَاتَبُوا ابْنَ عَمِّهِ بِقُسْطَنْطِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَدَسَّوْا لِلْسُّلْطَانِ أَبِي حَمُو بِمِثْلِهَا يَرْجُونَ الْخِلَاصَ مِنْ صَاحِبِهِمْ  
بِأَحَدِهِمَا . فَلَمَّا اسْتَوْلَى السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ ، رَأَوْا أَنْ

(١) بَسْكَرَةُ ضَبْطُهَا ابْنُ خَلْدُونِ ، بِالْحَرَكَاتِ ، بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالْكَافِ ، بَيْنَهَا سَيْنٌ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ  
رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ بِمَدِّهَا هَاءٌ تَأْنِيثٌ ، وَهُوَ ضَبْطُ حَكَاةِ يَاقُوتٍ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ، وَصَاحِبِ تَاجِ الْعُرُوسِ ،  
كَمَا حَكَا ابْنُ هَاكٍ مِنْ يَضْبُطُهَا بِكَسْرِ الْبَاءِ وَالْكَافِ ، وَهِيَ بِلَدٌ بِالْجَزَائِرِ كَانَتْ قَاعِدَةً بِبِلَادِ الزَّابِ ،  
انْظُرْ يَاقُوتَ ٢-١٨٢ ، التَّاجَ ٣-٤٣

(٢) هُوَ أَبُو حَمُو مُوسَى بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَجِيٍّ بْنِ يَغْمَرِاسِنْ بْنِ زِيَانَ ،  
الْاِسْتِقْصَاءَ ٢-١٠٣

(٣) تَوَجَّسَ الشَّيْءُ ، وَالصَّوْتُ : سَمِعَهُ وَهُوَ خَائِفٌ

جرحهم قد اندمل<sup>(١)</sup>، وحاجتهم قد قضيت<sup>(٢)</sup>، فاعصَوْصَبُوا عليه؛ وأظهر السلطان أبو حمو الامتناع للواقعة يُسِرُّ منه حَسْوَاً في ارتقاء<sup>(٣)</sup>، ويجعله ذريعة للاستيلاء على بنجاية، بما كان يَرَى نفسه كفؤاً لها بَعْدَهُ وَعَدِيدِهِ، وما سلف من قومه في حصارها؛ فسار من تَلِمَّسان يُجَرُّ الشوك والمدَر<sup>(٤)</sup>، حتى خيم بالرُّشَّة من ساحتها، ومعه احياء زُغْبَة بجُموْعهم وظعائهم، من لدن تلمسان، الى بلاد حصين، من بني عامر؛ وبني يعقوب، وسويد، والديالم والعطاف، وحصين.

وانحجَرَ أبو العباس بالبلد في شَرذِمة من الجُند، أعجله السلطان أبو حمو عن استيعاب الحشد، ودافع أهل البلد أحسن الدِّفاع. وبعث السلطان أبو العباس عن أبي زِيَّان بن السلطان أبي سعيد عم أبي أي حمو من قُسْطَنْطِينَة، كان مُعْتَقَلاً بها، وأمر مولاة وقائد عسكره بِشِيراً أن يخرج معه في العساكر، وساروا حتى نزلوا بني<sup>(٥)</sup> عبد الجبار قِبالة مُعَسِّكَر أبي حمو؛ وكانت رجالات زُغْبَة قد وَجَّهُوا

(١) اندمل الجرح، برى.

(٢) يشرب اللبن خفية، ويتظاهر بأنه يأخذ الرغوة، وهو مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره.

(٣) ينظر الى المثل، «جاء بالشوك والشجر»، الميداني ١١٠-١١١؛ ويكني بذلك عن كثرة جيشه، فلقد كان ١٥ ألفاً. - بغية الرواد ٢-١٨٢.

(٤) في بغية الرواد: «وابن عمه أبو زيان ابن السلطان أبي سعيد مظل عليه من جبل بني عبد الجبار»، ولعله أوضح.

من السلطان ، وأبلغهم النذير أنه إن ملك بجاية اعتقلهم بها ؛  
فراسلوا أبا زيان ، وركبوا إليه ، واعتقدوا معه . وخرج رجل البلد  
بعض الأيام من أعلى الحصن ، ودفعوا شردمة كانت مجمرة إزاءهم ؛  
فاقتلعوا خبائهم . وأسفلوا من تلك العقبة الى بسيط الرشة .  
وعاينهم العرب بأقصى مكانهم من المعسكر فأجفلوا ، وتتابع الناس  
في الانجفال حتى أفردوا السلطان في مخيمه ؛ فحمل رواحله وسار ،  
وكضت<sup>(١)</sup> الطرق بزحامهم . وتراكموا بعض على بعض ؛ فهلك منهم  
عوالم . وأخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية ، وقد  
غشيهم الليل ؛ فتركوا أزودتهم ورحالهم . وخلص السلطان ومن  
خلص منهم بعد عصب الريق<sup>(٢)</sup> ، وأصبحوا على منجاة . وقد فت  
بهم الطرق من كل ناحية الى تلمسان ؛ وكان السلطان أبو حمو قد  
بلغه خروجي من بجاية ، وما أحدثه السلطان بعدي في أخي وأهلي  
ومخلفي ؛ فكتب إلي يستفدني قبل هذه الواقعة . وكانت الأمور  
قد اشتبهت ؛ فتفاديت بالأعذار ، وأقت بأحياء يعقوب بن علي ، ثم  
ارتحلت الى بسكرة ؛ فأقت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزني .  
فلما وصل السلطان أبو حمو الى تلمسان ، وقد جزع للواقعة ، اخذ  
في استئلاف قبائل رياح ، ليُجلب بهم مع عساكره على اوطان

(٢) كذا بالأصول ويريد اكتظت بالظاء .

(٣) عصب الريق بفيه : اذا يبس عليه .

بِجَايَةٍ ؛ وَخَاطَبَنِي فِي ذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِي بِاسْتِبَاعِهِمْ ، وَمُلْكِ زِمَامِهِمْ ،  
وَرَأَى أَن يُعَوَّلَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَدْعَانِي لِحِجَابَتِهِ وَعَلَامَتِهِ ،  
وَكُتِبَ بِخَطِّهِ مُدْرَجَةً فِي الْكِتَابِ نَصُّهَا :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَهَبَ ، لِيَعْلَمَ الْفَقِيهُ  
الْمَكْرُمُ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُونَ ، حَفَظَهُ اللَّهُ ، عَلَى أَنَّكَ تَصِلُ  
إِلَى مَقَامِنَا الْكَرِيمِ ، لَمَّا اخْتَصَصْنَا كَمَّ بِهِ مِنَ الرُّتْبَةِ الْمَنِيْعَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ  
الرَّفِيعَةِ ، وَهُوَ قَلَمٌ خِلَافَتُنَا ، وَالْإِنْتِظَامُ فِي سِلْكِ أَوْلِيَائِنَا ، أَعْلَمْنَا كَمَّ  
بِذَلِكَ . وَكُتِبَ بِخَطِّ يَدِهِ عَبْدُ اللَّهِ ، الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ ، مُوسَى بْنُ  
يُوسُفَ لَطْفَ اللَّهِ بِهِ وَخَارَ لَهُ . »

وَبَعْدَهُ بِخَطِّ الْكَاتِبِ مَا نَصَّهُ : بِتَارِيخِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَجَبِ  
الْفَرْدِ الَّذِي مِنْ عَامِ تِسْعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةَ عَرَفْنَا اللَّهَ خَيْرَهُ .

وَنَصُّ الْكِتَابِ الَّذِي هَذِهِ مُدْرَجَتُهُ ، وَهُوَ بِخَطِّ الْكَاتِبِ :  
« أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ يَا فَاقِيَهُ أَبَا زَيْدٍ ، وَوَالَى رِعَايَتِكُمْ . إِنَّا قَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا ،  
وَصَحَّ لَدَيْنَا مَا انْطَوَيْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَبَةِ فِي مَقَامِنَا ، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَى  
جَنَابِنَا ، وَالتَّشْيِيعِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا لَنَا ، مَعَ مَا نَعْلَمُهُ مِنْ مَحَاسِنِ اشْتِمَلَتْ  
عَلَيْهَا أَوْصَافُكُمْ ، وَمَعَارِفَ فُقُتُمْ فِيهَا نُظَرَاءُكُمْ ، وَرُسُوخَ قَدَمٍ فِي  
الْفَنُونِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ . »

وكانت خُطَّة الحِجَابَةِ بِيَابِنَا العَلِيِّ - اسماء الله - اكبر درجات امثالكم ، وارفع الخطط لنظرائكم ؛ قُرباً مِنَّا ، واختصاصاً بمقامنا ، واطِّلاعاً على خَفَايا اسرارنا . آثرناكم بها إيثاراً ، وقدَّمناكم لها اصطفاً واختياراً ؛ فاعملوا على الوصول الى بابنا العَلِيِّ ، اسماء الله ، لما لكم فيه من التَّنْوِيهِ ، والقدر النَّبِيهِ ، حاجباً لعلِّيَّ بَابِنَا ، ومستودِعاً لآسرارنا ، وصاحبَ الكَرِيْمَةِ عَلَامَتِنَا ، الى ما يشاكل ذلك من الانعام العَمِيْمِ ، والخير الجَسِيْمِ ، والاعتناء والتَّكْرِيْمِ . لا يشار ككم مشارِك في ذلك ولله يَزَاحِمُكُم اَحدٌ ، وان وُجِدَ مِن امثالك فاعِلِمُوهُ ، وعوِّلُوا عليه ، والاتعالى يتولاكم ، ويوصل سُرَّاءَكُم ، ويوالي احْتِفَاءَكُم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وتأدَّتْ إِلَيَّ هَذِهِ الكُتُبُ السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى يَدِ سَفِيرٍ مِنْ وُزَرَائِهِ ، جاء الى اشياخ الدَّوَاوِدَةِ فِي هَذَا الغَرَضِ ؛ فقمْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ احْسَنَ مَقَامٍ ، وشايعته احْسَنَ مُشَايَعِهِ ، وحملتُهُمْ عَلَى إِجَابَةِ دَاعِي السُّلْطَانِ ، والِبِدَارِ الى خِدْمَتِهِ . وانحرف كبرائُهُمْ عَنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ ابِي العَبَّاسِ الى خِدْمَتِهِ ، والاعْتِمَالِ فِي مَذَاهِبِهِ ، واستقام غَرَضُهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَكَانَ اخِي يَحْيَى قَدْ خَلَصَ مِنْ اعْتِقَالِهِ بِبُوءَةِ ، وَقَدِمَ عَلَيَّ بِبَيْسَكِرَةٍ ، فبعثته الى السُّلْطَانِ ابِي حَمُو كَالنَّائِبِ عَنِّي فِي الوَظِيفَةِ ، متفادياً عَنْ تَجَشُّمِ اهْوَالِهَا ، بِمَا كُنْتُ نَزَعْتُ عَنْ غَوَايَةِ الرُّتَبِ . وطالَ عَلَيَّ

إِغْفَالُ الْعِلْمِ ؛ فَأَعْرَضْتُ عَنْ الْخَوْضِ فِي أَحْوَالِ الْمُلُوكِ ، وَبَعَثْتُ الْهَمَّةَ عَلَى الْمِطَالَعَةِ وَالتَّدْرِيسِ ؛ فَوَصَلَ إِلَيْهِ الْأَخْ ، فَاسْتَكْفَى بِهِ فِي ذَلِكَ ، وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ .

وَوَصَلَنِي مَعَ هَذِهِ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَةِ كِتَابُ رِسَالَةِ مِنَ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ مِنْ غَرْنَاطَةِ يَتَشَوَّقُ إِلَيَّ ، وَتَأَدَّى إِلَى تَلَمُّسَانٍ عَلَى يَدِ سَفَرَاءِ السُّلْطَانِ ابْنِ الْأَحْمَرِ ؛ فَبَعَثَ إِلَيَّ بِهِ مِنْ هُنَاكَ وَنَصَّهُ :

بِنَفْسِي وَمَا نَفْسِي عَلَى بَهِيَّةٍ فَيُنْزِلَنِي عَنْهَا الْمِكَّاسُ<sup>(١)</sup> بَأَثَانٍ حَبِيبٌ نَأَى عَنِّي وَصُمٌّ لَا تُتِي وَرَاشُ<sup>(٢)</sup> سَهَامِ الْبَيْنِ عَمْدًا فَأَصْمَانِي<sup>(٣)</sup> وَقَدْ كَانَ هُمُ الشَّيْبُ - لَا كَانَ - كَافِيَا فَقَدْ أَدْنِي<sup>(٤)</sup> لَمَّا تَرَحَّلَ هَمَّانُ شَرَعْتُ لَهُ مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي مَوَارِدًا فَكَدَّرَ شَرِبِي بِالْفِرَاقِ وَاطْهَمَانِي وَارْعَيْتُهُ مِنْ حُسْنِ عَهْدِي جَمِيمَةٍ<sup>(٥)</sup> فَأَجْدَبَ آمَالِي وَأَوْحَشَ أَرْمَانِي حَلَفْتُ عَلَى مَا عِنْدَهُ لِي مِنْ رِضَى قِيَاسًا بِمَا عِنْدِي فَأَحْنَثَ أَيْمَانِي وَإِنِّي عَلَى مَا نَالَنِي مِنْهُ مِنْ قَلِي لَا شَتَاقُ مِنْ لُقْيَاهُ نَغْبَةً<sup>(٦)</sup> ظَمَّانٍ

(١) المِكَّاسُ : الماكسة ، والمشاحة في اليمن عند التبايع .

(٢) رَاشُ السَّهْمِ : ألصق به الريش .

(٣) أَصْمَى الصَّيْدِ : رماه فقتله في مكانه .

(٤) أَدْنِي هَانٍ : دهاني هان .

(٥) الْجَمِيمُ ، وَالْجَمُّ : الكثير من كل شيء ، والنبت الذي طال حتى صار مثل جمة الشعر .

(٦) النَغْبَةُ ( بضم النون وفتحها ) : الجرعة من الماء .

سألتُ جنوني فيه تقريبَ عرشه قُتِمتُ بجنِّ الشَّوقِ جنُّ سليمانِ  
 إذا ما دعا داعٍ من القومِ باسمه وثبتُ وما استثبتتُ شيمةَ هيمانِ  
 وتالله ما أصغيتُ فيه لعاذلٍ تحاميته حتي ارعوى وتحاماني  
 ولا استشعرتُ نفسي برحمة عابدٍ تظللُ يوما مثله عبدَ رحمانِ  
 ولا شعرتُ من قبله بتشوقٍ تخللَ منها بين رُوحٍ وجثمانِ

اما الشَّوقُ فحدث عن البحر ولا حرج ، واما الصَّبرُ فاسأل به  
 آيةً درج ، بعد ان تجاوزَ اللوى<sup>(١)</sup> والمنعرج<sup>(٢)</sup> ، لكن الشدة  
 تعشقُ الفرج ، والمؤمن ينشقُّ من رُوحِ الله الأرج ؛ وأنى بالصَّبرِ  
 على إبرِ الدُّبرِ<sup>(٣)</sup> ، لا . بل الضربُ الهبر<sup>(٤)</sup> ، ومطاوأة اليوم والشهر ،  
 تحت حكم القهر ؛ ومن للعين ان تسلوَ سلوَ المقصر ، عن إنسانها  
 المبر ، او تذهلَ ذهول الزَّاهد ، عن سِرِّها الرائي والمُشاهد ، وفي  
 الجسد بضعة يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رَحلت عنه وإن  
 نزحت ؛ وإذا كان الفراق ، هو الحماَم الأول ، فعلام المعوَل ، أعيتُ  
 مُراوِضة الزراق ، عمل الرِّاق ، وكادت لوعة الاشتياق ، ان تُفْضي  
 الى السياق<sup>(٥)</sup> .

(١) اللوى : ما التوى من الرمل ، ومسترق الرمل .

(٢) المنعرج : المنعطف .

(٣) الدبر ، بالفتح ويكسر : الزنابير .

(٤) الضرب الهبر : الذي يلقي قطعة من اللحم ، وهو وصف بالصدر .

(٥) ساق المريض : شرع في نزع الروح .

تركتُموني بعدَ تشييعِكم    أوسِعُ امرَ الصبرِ عصياناً  
أقرعُ سِنِّي ندماً تارةً    واستمِيعُ الدمعَ أحياناً

وربما تعلتُ بغشيانِ المعاهد الخالية، وجددتُ رُسومَ الأسي  
بمباكرةِ الرُسومِ البالية، أسألُ نونَ النوى<sup>(١)</sup> عن أهليه، وميمَ الموقدِ  
المهجور عن مُصْطَلِيهِ، وئاءَ الأثافي<sup>(٢)</sup> المثلثة عن منازلِ الموحدين،  
واحارُ وبين تلكِ الأطلالِ حيرةَ الملحدين، لقد ضللتُ إذاً وما أنا  
من المهتدين؛ كلِفتُ لعمري الله بسالٍ<sup>(٣)</sup> عن جفوني المؤرقة، ونانمُ  
عن هُمومي المتجمعة والمتفرقة. ظنن عن ملال، لامتبرماً منا  
بشرٍّ خلال، وكدر الوصل بعد صفائه، وضرَج النصل بعد  
عهد وفائه.

أقلُّ اشتياقاً أيها القلبُ إنَّما    رأيْتُكَ تُصْفِي الوُدَّ من ليسَ جازياً  
فها أنا أبكي عليه بدم أسالهِ، وأندُبُ في رُبْعِ الفراقِ آسى  
لَه<sup>(٤)</sup>، واشكو إليه حالَ قلبٍ صدَّعَه، وأودَّعَه من الوجدِ  
ما أودَّعَه، لما خدَّعَه، ثم قلاه وودَّعَه، وأنشِقُ رِيَّاهُ أنفَ  
ارتياحٍ قد جدَّعَه، وأستعديهِ على ظلمِ ابتدَّعَه.

(١) النوى : الحفير حول الجباء أو الخيمة يمنع عنها السيل .

(٢) الأثافي : أحجار توضع عليها القدر ، واحدها أثفية .

(٣) سال : ناس .

(٤) آسى له : أحزن له .

خَلِيلِيَّ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَلْبِي<sup>(١)</sup>  
فلولا عسى الرجاء ولعله، لا بل شفاعة المحل الذي حله، لنشرت  
ألوية العتب، وبشنت كتائبها، كمناء في شعاب الكتب، تهز من  
الألفات رماحاً خزر الأسنة<sup>(٢)</sup> وتوتر من النونات أمثال القسي المرنة  
وتفود من مجموع الطرس<sup>(٣)</sup> والنقس<sup>(٤)</sup> بلقاً<sup>(٥)</sup> تردي<sup>(٦)</sup> في الأعنة، ولكنه  
آوى إلى الحرم الأمين، وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة الغوار  
عن الشمال واليمين، حرم الحلال المزنية، والظلال اليزنية؛ والهيم  
السنية، والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية، حيث الرقد الممنوح،  
والطير الميامين يزجر<sup>(٧)</sup> لها السنوح<sup>(٨)</sup> والمشوى الذي إليه، مهباتقار<sup>(٩)</sup>  
الكرام على الضيفان<sup>(١٠)</sup>، حول جواي الجفان<sup>(١١)</sup> فهو الجنوح.

(١) البيت لمجمل بن عبد الله بن معمر العذري . الأغاني بولاق ٥١/١ .

(٢) يقال : هم خزر العيون : أي ينظرون نظرة العداوة ، وعدو أخزر العين : ينظر عن معارضة . وقد أسند ذلك الى الرماح تجوزاً .

(٣) الطرس ( بالكسر ) : الصحيفة .

(٤) النقس : المداد .

(٥) جمع أبلق ؛ وهو الفرس الذي لونه سواد وبياض .

(٦) الردي : حركة الفرس بين العدو والمشي .

(٧) زجر الطير : تفاعل به .

(٨) سنح الطائر سنوحاً : جرى على يمينك الى يسارك ، والعرب تتيامن بذلك .

(٩) تقارع الكرام : ساهموا .

(١٠) الضيفان : جمع ضيف .

(١١) الجواي : جمع جابية ؛ وهي الحوض يجبي فيه الماء للابل . والجفان : جمع جفنة ؛ وهي

أعظم ما يكون من القصاع . وأبن الخطيب يشير الى آية : « وجفان كالجواي » آية ٣٤ من

سورة الرعد .

نَسَبُ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نوراً ومن فَلَقَ الصَّبَاحَ عَمُوداً  
ومن حلَّ بتلك المشابة فقد اطمأنَّ جنبه ، وتُعَمِّدُ بالعفو ذنبه  
ولله درُّ القائل :

فوحِّهْ لَقَدْ انْتَدَبْتُ لوصفه بالبخل لولا أنَّ خِمْصاً دارُهُ  
بلدٌ متى أذكرُهُ تهَبَّجُ لوعي وإذا قدحت الزند<sup>(١)</sup> طارَ شرارُهُ  
اللهم غفراً ، وأين قرارة النخيل<sup>(٢)</sup> ، من مثوى الأقف<sup>(٣)</sup>  
البخيل ، ومكذبة المخیل<sup>(٤)</sup> ؛ وأين ثانية هجر<sup>(٥)</sup> ، من مُتَبَوِّأَ من  
أَلْحَدَ وفَجَرَ .

مَنْ أَنْكَرَ غَيْثاً مَنْشَوْهُ فِي الْأَرْضِ يَنْوِي بِمُخْلِفِهَا  
فَبَنَانُ بَنِي مُزْنٍ مُزْنٌ تَهْلُ بِلُطْفٍ مَصْرَفِهَا  
مُزْنٌ مَذْحِلٌ بِبَسْكَرَةٍ يَوْمًا نَطَقَتْ بِمُصْحَفِهَا<sup>(٦)</sup>  
شَكَرْتُ حَتَّى بَعْبَارَتِهَا وَبِمَعْنَاهَا وَبِأَحْرُفِهَا

(١) قلدح الزند : رام الأبراء به .

(٢) يريد بسكرة لأنها كانت تسمى بسكرة النخيل لكثرة ما بها منه .

(٣) الأقف : الذي لم ينجح ، يريد أنه لا يقاس بلد عربي أهله كرام ببلد عجمي أهله بخلاء

وفي نسخة : الألف أي العلي اللسان الذي لا يحسن أن يتكلم .

(٤) يقول : إن هذا البلد يكذب ظن من خاله لأن ساكنيه بخلاء .

(٥) بلد بالبحرين معروف ، وبأبني الحديث عنه .

(٦) ذلك لأن تصحيف « بسكرة » : « تشكره » .

ضَحِكْتَ بِأَيِّ الْعَبَّاسِ مِنْ أَلْأَيَّامِ ثَنَايَا زُخْرُفَهَا  
وَتَنَكَّرْتَ الدُّنْيَا حَتَّى عُرِفَتْ مِنْهُ بِمَعْرِفَهَا

بل نقول : يا محلّ الولد ، « لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حلّ  
بهذا البلد » ، لقد حلّ بينك عرى الجلد<sup>(١)</sup> ، وخلد<sup>(٢)</sup> الشوق بعدك  
يا بنّ خلدون في الصميم من الخلد<sup>(٣)</sup> ؛ فحيّا الله زماناً شفيّت في  
قربك زمانته<sup>(٤)</sup> ، واجتليت في صدف مجدك جمانته<sup>(٥)</sup> ، وقضيت  
في مرعى خلّتك لبانته<sup>(٦)</sup> ؛ وأهلاً بروضٍ أظلت أشتات معارفك  
بآنته ؛ فحمامته بعدك تندب ، فيساعدها الجندب<sup>(٧)</sup> ، وتوأسمه  
ترقّ فتغاشي ، وعشائته تتخافت وتتلّشي<sup>(٨)</sup> ، وأدواحه في  
ارتباك ، وسمائه في مآثم ذي اشتباك ؛ كان لم تكن قمر هالات قبائه ،  
ولم يكن أنسك شارع بابيه<sup>(٩)</sup> ، الى صفوة الظرف ولبائه ، ولم

(١) الجلد ( بفتح اللام ) : الصبر .

(٢) خلد : دام .

(٣) الخلد ( بفتح اللام ) : القاب .

(٤) الزمانه : العاهة .

(٥) الجمانة الأولوة .

(٦) اللبانة : الحاجة .

(٧) الجندب : الجراد .

(٨) تلّشي الشيء : اضمحل . تاج العروس ( لشا ) و ( لمش ) . والتلّشي ، بمعنى الاضمحلال  
عامي لم يرد عن العرب .

(٩) باب شارع الى كذا : مفتوح ونافذ اليه ؛ يريد ان انسك كان يشغل الناس جميعاً من

غير تخصيص .

يَسْبَحُ إِنْسَانٌ عَيْنِكَ فِي مَاءِ شَبَابِهِ ؛ فَلَهْفِي عَلَيْكَ <sup>(١)</sup> مِنْ دُرَّةٍ  
 اخْتَلَسَتْهَا يَدُ النَّوَى <sup>(٢)</sup> ، وَمَطَّلَ <sup>(٣)</sup> بَرْدَهَا الدَّهْرُ وَلَوَى <sup>(٤)</sup> ، وَنَعَقَ  
 الْغُرَابُ بَيْنَهَا فِي رُبُوعِ الْهَوَى ، وَنَطَقَ بِالزَّجْرِ <sup>(٥)</sup> فَمَا نَطَقَ عَنِ الْهَوَى ؛  
 وَبَايَ شَيْءٍ يُعْتَاضُ مِنْكَ أَيْتُهَا الرِّيَاضُ ، بَعْدَ أَنْ طَلَمَا نَهْرُكَ الْفَيَاضُ ،  
 وَفَهَقَتْ <sup>(٦)</sup> الْحِيَاضُ ؛ وَلَا كَانَ الشَّانِي <sup>(٧)</sup> الْمَشْنُوهُ <sup>(٨)</sup> وَالْجَرْبُ <sup>(٩)</sup>  
 الْمَهْنُو <sup>(١٠)</sup> ؛ مِنْ قِطْعٍ لَيْلٍ أَغَارَ عَلَى الصُّبْحِ فَاحْتَمَلَ ، وَشَارَكَ فِي  
 الدِّمِّ النَّاقَةَ وَالْجَمَلَ ، وَاسْتَأَثَرَ جُنْحُهُ بِبَدْرِ النَّادِي لَمَّا كَمَلَ ؛ نَشَرَ  
 الشَّرَاعَ قُرَاعَ ، وَوَاوَلَ الْإِسْرَاعَ . فَكَأَنَّمَا هُوَ تَمْسَاحُ النَّيْلِ ضَائِقَ  
 الْأَحْبَابِ فِي الْبُرْهَةِ ، وَاخْتَطَفَ لَهُمْ مِنَ الشَّطْرِ زُهَّةَ الْعَيْنِ وَعَيْنَ  
 الزُّهَّةِ ؛ وَلَجَّ <sup>(١١)</sup> بِهَا وَالْعُمُومُ تَنْظُرُ ، وَالْغَمْرُ <sup>(١٢)</sup> عَنْ الْإِتْبَاعِ يَحْظُرُ ؛

(١) لهفي : حزني وحسرتي .

(٢) النوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد ؛ وهي مؤنثة .

(٣) مطل الدهر : سوف .

(٤) لوى بالدين : تأخر عن أدائه .

(٥) الزجر : التيمن بسنوح الطير ، والتشاؤم ببروحه .

(٦) فهقت : اهلات .

(٧) الشاني ، ويقال شيني وشونة : المركب المعد للجهاد في البحر ، والجمع شواني تاج

العروس ( شون ) .

(٨) المشنوه : المفيض .

(٩) الجرب : المصاب بالجرب .

(١٠) المهنوه : الجمل يدهن بالهزاء وهو القطران .

(١١) لججت السفينة : خاضت اللجة .

(١٢) الغمر : الماء الكثير .

فلم يُقدَّر إلا على الأسف ، والتماح الأثر المنتسَف<sup>(١)</sup> ، والرَّجوع بيل<sup>٢</sup> ،  
العيبة من الخيبة ، ووَقَر الجسرة<sup>(٣)</sup> من الحسرة إنما نشكو إلى الله  
البَثُّ والحزن ، ونستَمطر من عَبْرَاتنا المزن<sup>(٤)</sup> ، ويسيف الرجاء  
نُصُول ، وإذا أشرعت لليأس أسنة ونُصُول .

ما أقدر الله أن يُدني عني شحط<sup>(٥)</sup>  
من دَارُهُ الحزن<sup>(٦)</sup> مِمَّنْ دَارُهُ نُصُول<sup>(٧)</sup>

فإن كان كَلَمُ<sup>(٨)</sup> الفراق رَغيبا<sup>(٩)</sup> ، لَمَّا نَوَيْتَ مَغيبا ، وَجَلَّاتِ  
الوَقْتُ الهنيّ تَشْغيبا<sup>(١٠)</sup> ، فلعلَّ الملتقى يكون قريبا ، وَحْدَيْهِ  
يُروى صحيحا غريبا . إِيهِ سَيِّدِي ! كيف حالُ تلك السَّمائل ،  
المُزْهِرة الحمائل ، والشَّيم ، الهَامِيَةِ الدَّيْم ؟ هل يَمُرُّ بِبَالِهَا مَنْ رَاعَتْ  
بالبُعد بَالَهُ ، وَأَخْمدَتْ بعاصِفِ البَيْنِ ذُبَالَهُ ؟ أو تَرْتِي لِشُؤْنِ شَأْنِهَا

(١) المنتسف : المتأصل .

(٢) الجسرة : النافذة .

(٣) المزن : السحاب .

(٤) الشحط : البعد .

(٥) يريد حزن بني يربوع ، وهو قرب « فيد » في جهة الكوفة : من أجل مرابع  
العرب . ورد ذكره كثيرا في شعرهم . ياقوت ٢٧٠/٣ .

(٦) صول ( بضم الصاد ) : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الابواب ، وهو الدربند .  
والبيت الذي ذكره ابن الخطيب لخنديج المري في جملة أبيات أوردتها ياقوت ٤٣٥/٣ .

(٧) الكلم : الجرح .

(٨) رغبيا : مرغوبا فيه .

(٩) التشغيب : تهيج الشر .



يَا مَنْ تَرَحَّلَ وَالرَّيَّاحُ لِأَجْلِهِ يُشْتَاقُ إِنْ هَبَّتْ شَذَا رِيَّاءَهَا  
تَحْيَا النُّفُوسُ إِذَا بَعُثَتْ تَحْيَةً وَإِذَا عَزَمَتْ أَقْرَأُ «وَمَنْ أَحْيَاهَا»<sup>(١)</sup>

ولئن أُحييت بها فيما سلف نفوسا تنذيك، والله إلى الخير  
ايهديك، فنحن نقول «مَعَشَرُ مُوَادِّكَ»: «ثَنِي وَلَا تَجْعَلِهَا بَيْضَةً  
لَدَيْكَ»<sup>(٢)</sup>؛ و«عُذْرًا فَإِنِّي لَمْ أَجْزِي» على خطايك بالفقر الفقيرة،  
وادلت لدى حُجراتك برفع العقيرة، عن نشاط بعثت مرموسه<sup>(٣)</sup>،  
ولا اغتباط بالادب تغري بسياسته سوسة، وانبساط أوحى إلي على  
الفترة ناموسه؛ وإنما هو اتفاق جرته نفثة المصدور<sup>(٤)</sup> وهناك<sup>(٥)</sup>،  
الجرب<sup>(٦)</sup> المجدور<sup>(٧)</sup>؛ وإن تعلل به مخارق، فشم قياس فارق،  
أو لحن غنى به بعد البعد مخارق<sup>(٨)</sup>؛ والذي هيأ هذا القدر وسببه،

(١) يشير إلى الآية (٣٢) من سورة المائدة .

(٢) عجز بيت لبشار بن برد، وصدده :

قد زرتنا زورة في النوم واحدة • ثني ... الخ

وبَيْضَةُ الدِّيكِ: مثل يضرب للشيء يكون مرة واحدة لا ثانية لها، والذي يعطي عطاء ثم لا  
يعود . مجمع الأمثال ٢/٥٣ ، أمالي القالي ١/٢٢٥ .

(٣) المرموس : المدفون .

(٤) النفث : النفخ لا ريق معه . والمصدور : من به علة في صدره .

(٥) الهناء ، ككتاب : القطران .

(٦) الجرب : المصاب بداء الجرب .

(٧) المجدور : الذي أصابه داء الجدري .

(٨) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الحزار ، مولى الرشيد يكنى أبا المنهأ ؛ مغن مشهور أغاني

يدين ٢١/٢٢٠ - ٢٩٤ . ومخارق الاولى بمعنى الاحق المشاكس .

وسهّل المكروهَ إليّ منه وحَبَّبه ، ما اقتضاه الصّنوُ يحيى - مدّ الله حياته ، وحرس من الحوادث ذاته ، - من خطابٍ ارتشف به لهذه القريجة بُلاّلتها <sup>(١)</sup> ، بعد أن رَضِيْ علالتها <sup>(٢)</sup> ، ورشّح إلى الصّهر الحُزْمِيّ سلالتها <sup>(٣)</sup> ؛ فلم يسع إلا إسعافه ، بما اعافه ؛ فأملتُ مُجيباً ، ما لا يعدُّ في يوم الرّهان <sup>(٤)</sup> نجيباً <sup>(٥)</sup> ، وأسمّته وجيباً لمّا ساجلتُ بهذه التّرهات <sup>(٦)</sup> سِحْراً عجيباً ؛ حتّى إذا أَلَفَ القَلَمُ المُريان <sup>(٧)</sup> سَبَّحَه <sup>(٨)</sup> ، وجمّح بِرِذْوَنُ الفزارة فلم أطق كبّحه <sup>(٩)</sup> ، لم أفق من غمرة غُلُوّه وموقفٍ متلوّه ، الا وقد تحيّر الى فِتْكَ ، معتزّاً بل معتزّاً <sup>(١٠)</sup> ، واستقبلها ضاحكاً مُفْتَرّاً <sup>(١١)</sup> ، وهشّ لها برّاً ، وإن كان من الحجلّ مُصَفِّراً ؛ وليس بأول من هجر <sup>(١٢)</sup> ، في التماس

(١) البلالة : البلب ، وبقية الشيء .

(٢) الغلالة : ما يتعلل به ، وبقية الشيء .

(٣) السلالة : الولد .

(٤) الرهان : المسابقة على الخيل وغيرها .

(٥) النجيب ، من الإبل وغيرها : الكريم الحبيب .

(٦) الترهات : أصلها الطرق الصغار غير الجادة ؛ ثم استعيرت للأباطيل والأقاويل الحالية من الطائل .

(٧) يريد أنه متجرد مما يعوقه عن الجري .

(٨) السبح : الجري .

(٩) كبّح الفرس وغيره : منعه من سرعة السير .

(١٠) المعتز : الفقير ، والمعتز للمعروف من غير أن يسأل .

(١١) المفتر : الذي يضحك ضحكاً حسناً ؛ يبدي أسنانه من غير تهقّة .

(١٢) هجر : هذى في كلامه وخطأ .

الوَصلُ مَمَّنْ هَجَرَ<sup>(١)</sup> او بعثَ التَّمْرَ الى هَجَرَ<sup>(٢)</sup> ؛ وَايُّ نَسَبٍ  
 بَيْنِي الْيَوْمَ وَيُنْ زُخْرُفُ الْكَلَامِ ، وَاجَالَةُ جِيَادِ الْأَقْلَامِ ، فِي مُحَاوَرَةِ  
 الْأَعْلَامِ ؛ بَعْدَ أَنْ حَالَ الْجَرِيضُ<sup>(٣)</sup> ، دُونَ الْقَرِيضِ ، وَشُغِلَ الْمَرِيضُ  
 عَنِ التَّعْرِيبِ ؛<sup>(٤)</sup> وَغَلَبَ حَتَّى الْكَسَلِ ، وَنَصَلَتْ الشَّعْرَاتُ الْبَيْضُ  
 كَأَنهَا الْأَسَلُ ؛ تَرُوعُ بِرُقْطٍ<sup>(٥)</sup> الْحَيَّاتُ ، سِرْبُ الْحَيَاةِ<sup>(٦)</sup> ،  
 وَتَطْرُقُ بِذَوَاتِ الْغُرَرِ وَالشَّيَاتِ ، عِنْدَ الْبَيَاتِ<sup>(٧)</sup> ؛ وَالشَّيْبُ الْمَوْتُ  
 الْعَاجِلُ ، وَإِذَا أَبْيَضَ زَرْعُ صَبَّحَتِهِ الْمَنَاجِلُ ، وَالْمُعْتَبَرُ الْآجِلُ ؛ وَإِذَا  
 اشْتَغَلَ الشَّيْخُ بِغَيْرِ مَعَادِهِ ، حَكِمَ فِي الظَّاهِرِ بِإِبْعَادِهِ وَأَسْرَهُ فِي مَلَكَةِ  
 عَادِهِ ؛ فَاغْضِ إِبْقَاكَ اللَّهَ وَاسْمَحْ ، لِمَنْ قَصَرَ عَنِ الْمَطْمَحِ ، وَبِالْعَيْنِ  
 الْكَلِيلَةَ فَالْمَحْ ؛ وَاغْتَنِمِ لِبَاسَ ثَوْبِ الثَّوَابِ ، وَاشْفِ بَعْضَ الْجَوَى

(١) من الهجر ضد الوصل .

(٢) هجر : بلد بالبحرين ؛ وفيها ورد المثل الذي يشير إليه ابن الخطيب : « كجالب التمر الى هجر » ، أو « كنبضع التمر الى هجر » . مجمع الأمثال ٦٦/٢ .

(٣) الجريض : من الجرض ، وهو الريق يفض به . والقريض : الشعر . وحال : منع . وهو مثل يضرب للأمر كان مقدوراً عليه ، فحال دون القدرة عليه مانع . وفي معنى المثل خلاف تجده في التاج ، واللسان ، ( جرس ) مجمع الأمثال ١٣٩/١ .

(٤) التعريض : اطعام العرانة ؛ وهي الهدية يهديها القادم من سفر . وكأنه يريد أن المريض قد شغله مرضه عن الالتفات لهذا .

(٥) جمع رقطاء ؛ وهي الحية في لونها سواد وبياض .

(٦) وقف على « الحياة » . بالثناء مراعاة للسجع . وهي لغة جائزة وإن كانت غير راجعة ، وتد تحذروا عنها في باب « الوقف » من كتب النحو .

(٧) جمع غرة ؛ وهي البياض في جبهة الفرس . والشيات : جمع شية ؛ وهي سواد في بياض ، أو بياض في سواد ، والبيات : الإيقاع بالعدو ليلاً ، من غير أن يعلم فيؤخذ غرة . والكلام على شبيه الشعرات البيضاء بأفراس في لونها سواد وبياض .









































































































































































































































































































































































































































































































































































































































